كتاب الرموز[1]

« تأليف ابن ابي السرح[2] »

بتحقيق الدكتور س٠م٠حسين ، ام — اے ، دي — فل (اكسن)
أستاذ الآداب العربية والعلوم الاسلامية بجامعة دهاكه في الهند

ان لكل أمة[3] اموراً تستعملها[4] من رموز النفس كنيرنجات الفُرْس ووهم الهند وعقد الروم ٠ وهذه الامور تسميها فلاسفة اليونانيين (المجانيقومات) ورموز النفس في هذا الموضع لنفسم الى ثلاثة اقسام : قسم منها رمزٌ فوق الطبيعة كالرُقى والوهم وهو الذي يقول فيه انبذقليس الفيلسوف إن للنفس كلمات روحانيةً من نحو ذاتها ، وقسم منها رمز نحو (الطبيعة[5] كتعليق الخُرَز[6] وما يشبه ذلك ٠ وقسم منها رمز فوق الطبيعة

---

(١) عن مجموعة مخطوطة في مكتبة راغب باشا بقسطنطينية عدد رقمها ١٤٦٣ ص ١٠٠—١٠٦ (٢) كذا في كتاب الفهرست ص١٢٨ «ابن ابي السرح» وبالاصل « ابن ابي سرح » وهو ابو العباس احمد بن ابي السرح الكاتب ، ذكر ابن النديم : ان له من الكتب كتاب العلوم وما جاء فيه وله رسائل ، فنها كتاب الرموز هذا وجاء فيه ذكر كتابين آخرين كتاب في أخبار الكلب الكَلِب وكتاب الارعتيان — راجع ص١٣ ٠

(٣) كلمة «أمة» محذوفة في الاصل ضبطناها بمقتضى الكلام ، لعلها سقطت عن يد الكاتب ٠ (٤) في الاصل « امور استعملها » محرفاً عن « اموراً تستعملها » ٠

(٥) (المجمع) لعله تحت الطبيعة ٠ (٦) «المجمم» هكذا ضبطها المصحح اي بضم اوله والصواب فتحها والخرز بفتحتين معروف اما بضم ففتح فجمع خرزة وهي الثقبة فيها الخيط وتسميها عامتنا « طمنة » وهذا المعنى لا يناسب هنا ٠ ولعل صوابه (الخُزَز) بزايين وضم الخاء ومعناه ذكر الأرانب وقد سقطت كلمة (كعب) والأصل (تعليق كعب الخزز) وتعليق كعبه خرافة معروفة منذ الجاهلية وسيأتي ذكر ذلك والاستشهاد عليه في كلام المؤلف ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وايضاً نحو الطبيعة معاً كالرُقى[1] والتماثيل واستعمالها في حال واحدة . والمعرفة بان للنفس رموزاً وان هذه الاقسام من رموزها انما تجب بعد اتفاق القول (لعله القوى) ولواحقها وهذه من صناعة الفلاسفة ليس من الغرض الذي نريد قصده فنتكلف القول فيه بالبراهين الموضحة عن حقيقته . وللعرب أفعال عن رموز النفس حسب ما لسائر الامم ولم أر احداً من مؤلفي الكتب عني بجمع ذلك . وانما هي منثورة متفرقة بين الاخبار[2] فجمعت من ذلك ما اعرف في كتاب لأكفي ملتمسه مؤونة الطلب وبالله أستعين وعليه أتوكل .

قال ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كانت العرب اذا أمسكت السماء عنهم[3] قطرها وأرادوا ان يستمطروا عمدوا الى السَلَع والعُشَر فعقدوهما في أذناب البقر واضرموا فيهما[4] النار واصعدوها في جبل وعر واتبعوها يدعون الله ويستسقونه . قال أمية بن ابي الصلت الثقفي في ذلك :

سنة ازمة تخيّل[5] بالنا س ترى العضاه فيها صريرا
لا على كوكب تنوء[6] ولا ريـ ح جنوب ولا ترى طُحرورا
ويسوقون باقر السهل للطو د[7] مهازيل خشية ان تبورا
عاقدين النيران[8] في ثُكن[9] الاذناب منها لكي تهيج البحورا

(١) بالاصل « معادالرقى » كذا محرفاً عن « معاً كالرُقى » .

(٢) أوردها الألوسي في كتابه بلوغ الارب في أحوال العرب ج٢ص ٣٠١—٣٢٠ وج٣ ص ١—٧٠ وابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٩ ص ٤٣٠—٤٥١ ، وذكر بعضها النويري في كتاب نهاية الارب في فنون العرب س٣ ص١١٦—١٢٦ والقلقشندي في كتاب صبح الاعشى ج١ ص٣٩٨ - ٤١٠ والشيخ شهاب الدين احمد الأبشيهي في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ٨٩— ٩٣ .

(٣) بالاصل عنها (؟) . (٤) في الاصل فيه . (٥) في بلوغ الارب ٢+٣٠١ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٢ «تبرح» . (٦) في الاصل «بنوء» كذا مضبوط (؟)

(٧) بالاصل « للطور » (؟) . (٨) بالاصل «الثيران» . (٩) في بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة فيامضى «تكن» وفي نهاية الارب ٢+١١٠ « بكر » .

سَلَعٌ ما ومثله عشر ما عائل[١] ما وعالت البيقورا

وغلط في هذا البيت عيسى بن عمر فقال لاأدري مامعنى قوله « عسل ما » وصحف الاصمعي في بيت من الابيات فقال « وغالت[٢] البيقورا » قال ابن السكيت ومعنى قوله « وعالت البيقورا » اي ان السنة الجدبة أثقلت البقر بما حملتها[٣] من السلع والعشر ·

وأنشد الجاحظ في هذا المعنى للورك الطائي :

لادرّ درُّ رجالٍ[٤] خاب سعيهمُ يستمطرون لدى الأزمان[٥] بالعُشَرِ
أجاعل انت بيقوراً مسلعةً ذريعة[٦] لك بين الله والمطر

قال ابو المنذر : وكانوا اذا فعلوا ذلك توجهوا بها نحو المغرب من بين الجهات قصداً الى العين يعني عين المطر ·

قال الشرقي بن القطامي : كانت العرب اذا أوردوا البقر فلم تشرب اما لكدر الماء واما لان لاعطش بها ضربوا الثور لان تقتحم البقر الماء[٧] وكانوا يقولون ان الجن تركب ظهور الثيران فتصد البقر (عن الماء) لذلك قال الاعشى :

لكالثور والجني يركب ظهره[٨] وما ذنبه ان عافت الماء مشربا
وما ذنبه ان عافت الماء باقر وما ان تعاف الماء الا لتضربا[٩]

وانشد يحيى بن منصور الذهلي :

ARCHIVE

(١) في الاصل (عائك) وفي شرح نهج البلاغة (عامل) لعله تحريف ·

(٢) ويمكن ان يحمل تفسير الأصمعي على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله واغتاله اي اهلكه وغالتهم غول بمعنى المنية ومنه (الغضب غول الحلم) — ابن ابي الحديد

(٣) بالاصل (حملت) (؟) (٤) في بلوغ الارب ٣+٣٠٢ (أناس) ·

(٥) في شرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٤ وبلوغ الارب فيما مضى «الاعسار» (المجمع) ويروى الأزمات جمع أزمة بمعنى القحط ·

(٦) في صبح الاعشى ١+٤٠٩ (وسيلة) · (٧) ضربوا الثور ليقتحم الماء فتقتحم البقرُ بعده — شرح نهج البلاغة · (٨) روي في بلوغ الارب ٢+٣٠٤ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٥ « يضرب وجهه » · (٩) في نهاية الأرب ١+١٢٣ وشرح نهج البلاغة فيما مضى آنفاً «ليضربا» ·

لكالثور والجنيّ يركب ظهره — وماذنبه ان كانت الجن ظالما (؟)

وقال نهشل بن حرّيّ :

أيترك عامرٌ وبنو عليٍّ — وتغرم دارمٌ وبنو براه (؟)

كذاك الثور يضرب بالهراوي — اذا ما عافت البقر الظماه

وقال عوف بن الخَرِع :

هجوني ان هجوت خيال سلمى — كضرب الثور للبقر الظماه

وقال أنس بن مدرك :

إني وقتلي سليكاً[(١)] ثم[(٢)] اعقله — كالثور يُضرب لما عافت البقرُ

وقال اللحياني : كانت العربُ اذا سافر الرجل منهم عمد الى خيط فعقده في غصن شجرة او ساقها فاذا رجع نظر الى ذلك الخيط فان وجده على ما عقده قضى بان اهله لم تخنه وان رآه حُلّ حكم بانها قد خانته واسم ذلك الخيط (الرتم) وقال ابوزيد : وهو ايضاً اسم للخيط الذي يعقده الرجل في اصبعه ليذكر به[(٣)] حاجته وأنشد :

هل ينفعنك اليوم ان همت بهم — كثرة ما توصي وتعقاد الرتم

وانشد :

خانته لما رأت شيباً بمفرقه — وغره حلفها والعقد للرَتَم

وانشد :

به من الهوى لمم — وغره عقد الرتم

وقال ابو المنذر : تقول العرب مَن وُلد في القمراء[(٤)] رجعت قلفته[(٥)] فكان كالمختون قال ودخل امرؤ القيس مع قيصر الحمام فرآه اقلف فقال :

إني حلفتُ يميناً غير كاذبة — انك[(٦)] اقلف الا ماجنى القمرُ

اذا طعنتَ به مالت عمامته — كما يجمّع تحت الفلكة الوبرُ

---

(١) بالاصل (سليطا) . (٢) ويروى في شرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٤ (قتل سليك حين) بدل (قتلي سليكا ثم) . (٣) بالاصل (بها) . (٤) في الاصل (القمر) .

(٥) في رواية شرح نهج البلاغة (١٩+٤٤٣) وبلوغ الارب (٢+٣٣١) (تقلصت غرلته) . (٦) ويروى في شرح نهج البلاغة (١٩+٤٤٤) (لانت) وهو الاولى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال ابن حبيب : وهذان البيتان ينحلان للأقيسر (صوابه الأقيشر) .

قال ابن السكيت : تقول العرب ان المرأة المقلاة (صوابه المقلات) (وهي التي) لايبقى لها ولد — اذا وطئت قتيلاً شريفاً بقي اولادها . قال الحنفي انما يفعل ذلك اذا قُتل غدراً اوقوداً قال الشاعر[1] :

تظلّ مقاليتُ النساء يطأنه يقلن ألا يُلقى على المرء مئزر

وقال . وتظلّ المرزّآت المقاليـ ـت يُطلن القعود بعد القيام[2]

وقال ابن الاعرابي : يقول العرب ان من علّق على نفسه كعب أرنب لم تصبه عين ولاسحر لان الجن تهرب منها لان الأرنب ليس من مطايا الجن لانها تحيض . قال ابن الاعرابي قلت لزيد[3] بن كثوة أتقولون ان من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه جنّان الحي ولاعمّار الدار[4] فقال إي والله ولاشيطان الحماطة[5] ولاجار[6] العُشَيرة[7] ولاغول القفر وكل الخوافي إي والله وتُطفأ عين نيران السعالي وتبوخ . وقال امرؤ القيس في ذلك :

أيا هند لا تنكحي بوهة[8] عليه عقيقته أحسبا

مرسّعة بين أرناقه[9] به عسم يبتغي أرنبا

ليجعل في يده[10] كعبها حذارَ المنية ان يعطبا

وقال ابوعبيدة : كانت العرب تقول ان الرجل اذا دخل قرية يخاف وباءها

(١) بشر بن ابي حازم . (٢) يروى في بلوغ الارب ٢+٣٢٤ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٧ :

وتطيل المرزّآت المقاليـــتُ اليه القعود بعد القيام

(٣) كذا في بلوغ الارب ٢+٣٢٤ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٤١ (لزيد) وبالأصل (ليزيد) . (٤) في رواية بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة (جنّان الدار ولاعمّار الحي) .
(٥) الخماطة شجرة . (المجمع) صوابه الحماطة بالحاء المهملة امابالمعجمة فذاك الخطأ .
(٦) في الاصل (حان) كذا بالحاء المهملة لعله تحريف (جار) : (المجمع) والصحيح جانّ بالنون المشددة . (٧) العُشَيرة تصغير العُشَرة وهي شجرة . (٨) في الاصل (فوهة) .
(٩) (المجمع) أو صوابه (مرسّعة بين أرساغه) (١٠) وروى (رجله) .

فوقف على باب القرية قبل ان يدخلها فعشّر كالنهق (صوابه ينهق) الحمارُ — ثُمّ عرف عنه وباؤها وأنشد في ذلك :

ولا ينفعُ التعشيرُ ان حمّ واقعٌ ولا دعدعٌ[1] يغني ولا كعب أرنب

وقال الهيثم بن عدي : خرج عروة بن الورد وأصحاب له الى خيبر ليمتاروا فلما قرُبوا منها خافوا وباءها فعشّروا وأبى عروة ان يفعل ذلك وقال :

لعمري لئن عشّرتُ من خشية الردى نُهاقُ الحمير إنني لجزوع
فلا وألت تلك النفوس ولا أتت على روضة الأجداد وهي جميع[2]

فدخلوها وامتاروا وانصرفوا نحو بلادهم فما بلغوا روضة الأجداد الا وقد هلكت عامّتهم الا عروة .

وتقول العرب ان السليم يعلق عليه الحلي والجلاجل وما أشبهها فيُفيق السليم بذلك. وقال الحنفي انما يُعلّق عليه حلي الذهب لا غيره ولا يقربه الفضة وان علق عليه الرصاص هلك .

وقال ابن السكيت قال الصقيل الاعرابي[3] اذا لُسع الانسان عندنا عاقّوا[4] عليه سوارين وطوقاً وماوجدوا من الحلي والمترّعات[5] وتركوه عليه سبعة ايام ينفّرون عنه الحمة فاذا بلغ سبعاً رأوا أنه قد أفرق فنزعوه عنه . قال النضر بن شميل : وقلت للصقيل بلغنا انه يعلق عليه لئلا ينام فقال كيف تمنعه الحلي من النوم(؟) أليس انما هي حلي النساء التي يخلين بها ويثمن فيها(؟) انما يسهّد بالجلوس معه . وأنشد الجاحظ لرجل من بني عذرة في ذلك :

كأني سليم ناله كلمُ حية ترى حوله حلي النساء مرصّعا

---

(١) في بلوغ الأرب وشرح نهج البلاغة (زعزع) وفي صبح الاعشى ١+٤٠٦ (ودع)
(٢) وروي في بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة هكذا :

فلا والت تلك النفوس ولا أتوا فقولاً الى الاوطان وهي جميع
وبعده وقالوا الا انهق لا تضرك خيبر وذلك من فعل اليهود ولوع

(٣) في الاصل (اعرابي) . (٤) بالاصل علق .
(٥) في الاصل (الرعات) لعله تحريف . (المجمع) لعله تحريف الودعات .

ويروى «وضّها» . وقال زيد الخيل :

ا ثم تكون العقل منه صحيفةً … كما علقت فوق السليم الجلاجل

وانشد [1] : … وغرّوا كما غرّ السليم الجلاجلُ

وأطباء الهند يعالجون المخمور اذا صار كالمألوس بان يُعلّق عليه حلي الذهب والجوهر الرائع فيفيق من خماره .

وقال ابو صدقة الاعرابي : اذا خفنا على الرجل الجنون وولوع الجن نجسناه بتعليق الأقذار عليه : منها خرقة العارك وعظام الموتى وانفع ذلك ان تعلقه عليه طامث ثم لا يراها . وانشد [2] :

ولو كان جارتان وراقب … وعلق أنجاسا على المنجس [3] .

وقال ابن كثوة : ان الاجناس تنفّر عنه كلّ الخوالي لبس ناقس(؟) العشق فان العشق لا يدفعه ذلك . وقالت المحاربية انفع التنجيس ماعمله نجِس او من قد نجُس تارةً .

وقال الحنفي : اذا ظهرت بشفة الغلام بثور اخذ منخلاً على رأسه ومرّ بين البيوت ونادى الحلاءُ الحلاءُ الطعام الطعام [4] ويلقي فيه من هاهنا تمرةً ومن هاهنا كسرةً وبضعة لحم فاذا اجتمع نثره بين الكلاب فيذهب عنه البثر وذلك البثر يسمى الحلاءُ فاذا اكل منه صبي اصبح وقد بثرت شفته .

وقال الحنفي : اذا عشي الرجل قطعنا له سناما وكبداً فألقيناهما في المقلاة وقليناهما جميعا وأكله الأعشى وكلما اكل لقمة مسح جفنه الأعلى بسبابته وقال

---

(١) في بلوغ الارب ٢+٣٠٥ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٤٠ جاء صدرُه
وقد علقوا بالباطـل في كل موضع

(٢) في بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة روي للمزّق العبدي هكذا
فلو ان عندي جارتين وراقيا … وعلق أنجاسا عليّ المعلق

(٣) في الاصل (الجنس) . (٤) في الاصل (العظام) موضع (الطعام الطعام) لعله تحريف .

بأسنامٍ وكَبِدْ ليذهب الهُدَبِدْ (١)

وأنشد ابن السكيت: ليس شفاء الهُدَبِدْ الا سنامٌ وكَبِدْ

ويسمى العَشاء الهُدَبِد ·

وقال الحنفي: اذا طرف الرجل عين صاحبه فهاجت مسح الطارف عين المطروف بسبابته سبع مرات يقول في كل مرة: باحدى جاءت من المدينة · باثنين جاءت من المدينة بثلاث جئن من المدينة · الى سبع فتمسك عينه · قال اللحياني: واما بنو تميم فتقول في هذا يمسح الطارف عين المطروف و يقول: واحدةٌ من سبع · اثنتان من سبع · ثلاث من سبع · اربع من سبع · خمس من سبع · ست من سبع · سبع من سبع ·

وقال ابن كلثوم: كان الغلام من العرب اذا سقطت له سنٌ اخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف (٢) بها في عينها وقال ابدليني بشيء أحسنَ منها ولتجر في ظلها أياتك وربما قال أياءك وقال بعض الرواة كنا في ديوان لبني أمية فدخل علينا الشعبي فتذاكرنا فقال الشعبي مامعنى قول طرفة ·

بدّلَتْه الشمسُ من منبته بَرَداً أبيضَ مصقولَ الأُشر

قلنا لاندري · فقال كان الغلام من العرب اذا سقطت سنّه رمى بها في عين الشمس وقال أبدليني بها أحسن منها · وقال المهري ما فعله عربي قط فخرجت أسنانه عوجاً ولا ثعلاً وأنشد (٣)

سقته أياة الشمس الا لثاته أسِفّ ولم تكدم عليه باثمِد

وقال ابو دواد الايادي: الق عليه أياة الشمس اورافا

وقال الخليل بن احمد: الهقعة دائرة تكون بالفرس (٤) فتقول العرب ان صاحب الفرس المهقوع اذا ركبه فعرق الفرس تحته اغتلَتْ حليلته وطلبت الرجالَ · وقال بعض العرب لصاحب مهقوع

(١) روي في بلوغ الارب ٢+٣٢٨ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٤٣

فيا سناماً و كبد ألا اذهبا الهدبد

(٢) في الاصل (حذف) محرفاً عن (قذف) (؟) (٣) الطرفة راجع معلقته ·

(٤) وربما كانت على الكتف في الاكثر وهي مستقبحة عندهم ·

اذا عرق المقوع بالمرء أنعظت . حليلته وازداد حراً عجانُها

فأجابه :

وقد يركب المقوع من لست مثله . وقد يركب المقوع زوجُ حصانِ

وقال ابو محلم : اذا خافت العرب على الصبي نظرةً وخطفةً علقوا عليه سن ثعلب وسن هرة واشباه ذلك . قال ابو محلم أرادت جنيّة صبيّ قوم فلم تقدر عليه فلما رجعت الى صويحباتها قلن لها في ذلك فقالت[1]

كانت عليه نفرةٌ ثعالبَ وهرَّره . والحيضُ حيضُ السَّمُره

قال الحنفي حيض السمرة شيء يسيل من السمرة مثل حرة دم الغزال فاذا يبس كان أسود . فاذا ديف بالماء عاد احمر . مايزايل صبياننا حين تلد المرأة يخط به وجه الصبي ورأسه وينقط به وجه أمه . يسمونه نقطة النساء . واسم هذا الخط[2] الديدم . وقال ابن السكيت انما هو الدودم .

وقال ابوزيد عمر بن شبة : تقول العرب ان من خرج في سفر فالتفت وراءه لم يتم سفره . فيتطيرون من ذلك خلا العاشق فانه يتفاءل الى ذلك ليرجع الى من خلف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال الشاعر :

لوى ابن ابي الدقاق عينيه بعدما . دنا من اعالي إيلياء فغوّرا

وقال آخر :

عيل صبري بالثعلبية لما . طال ليلي وما في قرناني

كلما سارت المطايا بنا ميلاً تنفست والتفت ورائي[3]

قال وانما التفت وراءه لانهم كانوا عشاقاً فتفاءلوا الالتفات كي يرجعوا الى من خلفوا قال وكانت العرب توقد خلف المسافر الذي يبغضونه والزائر الذي لا يحبون رجوعه ناراً .

(١) تعتذر اليهن . (٢) في الاصل (الحبط) كذا . (٣) هذان البيتان ذكرهما الخالع في هذا الباب وعندي انه لادلالة فيهما على ما أراد لان التلفت في اشعارهم كثير ومرادهم به الابانة والاعراب عن كثرة الشوق والتأسف على الفراق . قال بعضهم :

دع التلفت يا مسعود وارم بها

وجه الهواجر تأمن رجعة البلد

فقال ابو محلم : يقولون أبعده الله وأسحقه واوقد ناراً إثره [١]

وانشد :

وجمة أقوام حملت ولم تكن لتوقد ناراً إثرهم [٢] للتندم

وأنشد :

صحوت واوقدت للجهل ناراً ورد عليك الصبي [٣] ما استعارا

اي ابغضت الصبي [٣] فلما مضى اوقدت ناراً في إثره . وفيه قول آخر : تقول نصبت له حرباً فأوقدت ناراً كما كانت العرب اذا ارادت الحرب اوقدت ناراً لتعلم أصحابها . قال الله عز وجل [٤] كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . وقال عمرو بن كلثوم [٥]

ونحن غداة أوقد في خزازى رفدنا فوق رفد الرافدينا

وقال الحنفي : اذا سافرنا اوقدنا النار بيننا وبين المنزل الذي نؤمه ولم نوقدها بيننا وبين اهلنا فان أخطأ احدنا فأوقدها وراءنا قالوا له لا تجعل بيننا وبين اهلنا ناراً واذا انصرفنا راجعين اوقدناها من ورائنا لا يكون بيننا وبين اهلنا وقود .

وقال المنذر كانت العرب اذا اصاب إبلهم العر كووا السليم ليذهب العر من السقيم .

قال الجاحظ : فأسقموا الصحيح من غير ان يبرؤا السقيم . وقال النابغة :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ومن مذاهبهم كانوا اذا رحل الضيف اوغيره عنهم واحبوا ان لا يعود كسروا من الأواني وراءه . وهذا مما يعمله الناس اليوم ايضاً . قال بعضهم

كسرنا القدر بعد ابي سواح فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

وقال آخر

ولا نكسر الكيزان في إثر ضيفنا ولكننا ننقبه زاداً ليرجعا

(الجميع) قوله (ننقبه) لم نجده ولعل صوابه (نتفوه) بتقديم الفاء مقلوب (نقفوه) بتقديم القاف ومعناه نتبعه بالزاد يبنا غيرنا يتبعه بكسر الكيزان .

وقال آخر اما والله ان بني نفيل لحلالون بالشرف اليفاع

اناس ليس تكسر خلف ضيف أوانيهم ولا شعب القصاع

(٢) بالاصل (ارثهم) . (٣) في الاصل (الصبي) كذا مضبوطاً .

(٤) في القرآن الكريم (س ٥ آ ٦٤) . (٥) راجع معلقته .

وحمّلتني ذنب امرىء وتركته كذي العر يكوى غيره وهو رائع

وقال ابو عبيدة: كانوا اذا بلغت الابل الفاً فقأوا عين الفحل فان زادت على الالف فقأوا العين الأخرى · فذلك المفقأ والمعمّى · وكانوا يقولون ان ذلك يطرد عنها العين والسّواف والغارة · وقال الشاعر في ذلك

فقأت لها عين الفحيل تعيفاً وفيهن رعلاء المسامع والحام

وقال: لقد غارعينا[1] إبن عمرو وضيفه من الجوع مفجوع · ومولاه مسلم

وقال آخر يشكر ربه على ما وهب له

وهبتها وانت ذو امتنان يفقأ فيها اعين البعران

وقال بعض من اسلم من العرب يذكر العالم في الجاهلية

وكان شكر القوم عند المنن كيّ الصحيحات وفقأ الاعين

وقال الفرزدق : غلبتك بالمفقي والمعمّى وبيت المحتبى والمافقات(؟)

والاحتجاج ببيت الفرزدق سهو من ابن ابي السرح لان الفرزدق اراد بالمفقى وما اشبهه أبيات الشعر والبيت[2]: (غلبتك بالمفقى والمعنى[3] وبيت المحتبي والخافقات)

---

(١) في الاصل عينين · (٢) وقد ظن قوم ان بيت الفرزدق من هذا الباب وليس الأمر على ذلك وانما اراد بالمفقى قوله لجرير

(ولست ولو فقأت عينيك واجداً أخاً كالقيط او اباً مثل دارم)

واراد بالمعنّى قوله لجرير ايضاً

(وانك اذ تسعى لتدرك دارما لانت المعنّى ياجرير المكلّف)

واراد بقوله بيت المحتبي قوله

(بيت زرارة محتب بفنائه ومجاشع وابو الفوارس نهشل)

(المجمع) قوله المختبي ومختب بالخاء المعجمة صوابها المحتبي ومحتب بالحاء المهملة ·

وبيت الخافقات قوله (ومصعب بالتاج يخفق فوقه بخرق الملوك له خميس جحفل)

(المجمع) قوله (ومصعب) صوابه ومعصب وقوله في المتن (والاحتجاج ببيت الفرزدق الخ) لعلها حاشية أدخلها النساخ في المتن سهواً لان (ابن ابي السرح) هو مؤلف الكتاب ·

(٣) بالاصل المعمى ·

وقال ابوالمنذر كانت العرب تقول ايما [1] امرأة احبت رجلاً او احبها فلم يشق عليها برقعها ولم تشق هي رداءه فسد حبهما فاذا فعلاه دام حبهما وامرهما . قال عبد بني الحسحاس [2] في ذلك

فكم قد شققنا من رداء محبّر [3] ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبرد برقعٌ دواليك حتى كلنا غير لابس

ولنذكر خرز العرب وأحجارها في هذا المعنى .

قال المهري : ان لنساء مهرة احجاراً يجتلبننا بها اليهن ويدفعننا بها عنهن وقال الحياني قالت العامرية « ان لنا لحجراً يؤخذ به الرجال عن النساء » .

وقال ابو عبيدة : من خرز العرب الهَمْرة [4] والفَطْسَة [5] والدردبيس [6] والعقلة والعَطْفة [7] والكَحْلة [8] والهبرة والقَبْلة [9] ويقال القُبْلة والقليب واليَنْجَلِب [10] والصَّرفة والصحبة وكَرارِ مثل قطامِ والسُّلوانة والهَمْزة ويقال الهَمَزة [11] .

(١) في الاصل ايتها . (٢) سحيم . (٣) في الاصل (محرٍ) .

(٤) تجتلب بها الرجال ويعطف بها قلوبهم ورقيتها : اخذته (بالهمرة) بالليل زوج وبالنهار أمة — شرح نهج البلاغة . (٥) بالاصل (الفسطة) كذا . الفطسة خرزة يمرض بها العدو ويقتل . (٦) خرزة سوداء يتحبب بها النساء الى بعولتهن توجد في القبور العادية واصل الدردبيس الداهية ونقل الى هذه لقوة تأثيرها . (٧) في الاصل (العطمة) .

(٨) خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . (٩) القبلة والفطسة والدردبيس كلها لاجتلاب قلوب الرجال . (١٠) في الاصل النجلب .

(١١) ومن خرزاتهم القرزحلة انشد ابن الاعرابي

لا تنفع القرزحلة العجائز اذا قطعن دونها المفاوزا

وهي من خرز الضرائر اذا لبستها المرأة مال اليها بعلها دون ضرتها .

ومنها خرزة العقرة تشدها المرأة على حقويها فتمنع الحبل ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق .

ومنها الخصمة خرزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم او في زر القميص او في حمائل السيف قال بعضهم :

وقال ابن حبيب اكثر أحجارهم وخرزهم انما يستعملونها في الحب والبغض وقال اللحياني: القَبَلة حجر ابيض يُجعل في عنق الفرس لئلا تصيبه العين ·

وقال ابوعبيدة: من رُقاهم في التِّجلب[1] أخذته بالتِّجلب، فلا يَرِمْ ولا يَغِب، ولا عند الطُّنُب (؟) وقال الهمزة[2]: ياهمزة إهمزيه من استمرَّ بماله وبنيه[3] ·

قال ابوالمنذر من رُقاهم في كَرار: يا كَرار كُرِّيه، ان اقبل فسُرِّيه، وان ادبر فضُرِّيه[4] ·

قال الحنفي رُقاهم في الدردبيس، اخذته بالدردبيس، تُدِرُّ العِرْقَ اليبيس، وتذَر الجديدَ كالبيس ·

وقال أعرابيّ اخذته بالفطسة، بالثُّوَباء والعطسة، فلا يزال في تعسة، من امره ولبسه، حتى يزور رمسه ·

وقال في الهمزة: اخذته بالهمزة، ولقطات الهذرة، ونفثِ كيد السحرة، لبرزه وتذكره · وانشد ابن الأعرابي

جمعن من قُبُلٍ لهن وفطسة[5] والدردبيس مقابلاً في المنظم
فانقاد[6] كل مشذَّب سلس القوى لحبالهن وكل جلدٍ شيظم

وقال آخر

قطعت القيد والخرزات عني لمن[7] ايس من علاج الدردبيس

وقال ابن الأعرابي السُّلوان خرزة يسقى عليها العاشق الماء فيسلو وانشد

شربت على سلوانة ماء مزنةٍ فلا وجديد العيش يا ميّ ماسلوا

يعلق غيري خصمة في اقاتهم ومالي عليكم خصمة غير منطق

ومنها الوجيهة وهي كالخصمة حمراء كالعقيق · (١) في الاصل (التجلب) ·

(٢) (الجمع) لعل صوابه: وقالوا في الهمزة: الخ · (٣) روي في شرح نهج البلاغة ياهمزة اهمزيه، من إسته الى فيه، وماله وبنيه · (٤) وزاد عليه ابن ابي الحديد، من فرجه الى فيه · (٥) في الاصل فسطه · (٦) بالاصل (فالقار) محرفاً عن (فانقاد) ·

(٧) في الاصل (لمن) محرفاً عن (انس) ·

وقال آخر

نخاض[1] شراباً بارداً في زجاجة   وقرّب مني سلوةً وأوى ليـا

وهذه رُقام المجردة من ذكر الخرز ·

قال اللحيـاني من رُقى العرب أرقيك من عَرَقٍ عائر ، او نظرة ناظر ، وحفيف طائر ، بنجم طالع ، وبرق لامع ، وديك ساقع ·

قال ومن رُقام للعيون · من عانك عينه رحيقٌ ، فيها ترب محيق ، ودمه دقيق ، ولحمه مشيق ·

وقال ابوالمنذر من رُقام ان تُؤخذ قَرْعةٌ ، تملأ ماء وفي اسفلهـا ثقبٌ بالابرة و يسيل منه كالدمعة ويعلّق · ورقيته : اخذْتُه بدباه ، مملوّ من الماء ، معلق بين سماء فلا يزال يمشي ، وعينه تبكي ·

وقال الحنفي من رُقام في الحب ، هوى به وهوي بِهِ ، البرق والسحابَه ، فلان ابن فلانه ، فسقط العُقابه · جلبته بمر كن ، لحبه تمكن ، جلبتـه بابره ، فلم ينم من عبره ، جلبته باوشق ، فقلبه لايشق ، جلبته بمسرد ، فقلبه لايبرد ·

قال ابن المنذر من رُقام اذا سافر من يبغضونه ونعمله الفارك[2] اذا سافر بعلها بافول[3] القمر ، وظلّ الشجر ، شمال تشمله ، ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه ، شبك فلاانتقش ثم ترمي إثره بحصاةٍ ونواة وروثة وبعرة وتقول حصاةٌ حصت[4] إثره ، نواةٌ نأت داره روثةٌ ليرث خبره ، لفعته[5] ببعره ·

وقال ابن البرقي من رُقام في العطف · الريح والبروق ، سبـه الصباح والطروق ، فلانٌ اذا اقبل فنهـار آيس ، وان أدبر فشوكُ طلحٍ يابس ، وجبل حابس ، وليل دامس ·

فأما فعلهم أبقاك الله في عضّة الكلب الكلِب فقد ذكرناه في كتابنا في اخبار الكلب الكلِب وذكرنا في ذلك قول اطبـاء الهند والروم وأقوال سائر الامم · واما القول سيف

---

(١) (المجمع) قوله نخاض شراباً اي خلطه · (٢) بالاصل (الفاركة) ·

(٣) بالاصل (بافول) كذا · (٤) فيالاصل (حص) · (٥) بالاصل (لقمه) ·

العيافة والقيافة والزجر والفأل والخزيلات وأسرار الكف والخط والطرق وقرض الفأرة وتلظي النار وضرب الشعير والجزر على طنين الفرس فليس من هذا المعنى فنذكره. واما الاوعتيان فقد ذكرنا ماثنيه (؟) . وقول العرب والفلاسفة والهند والفرس والاطباء والمنجمين فيه . وحكايات سائر الامم في كتابنا الموسوم بكتاب الاوعتيان وهو هناك مستقصى .

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين . حمد الشاكرين . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين . وهذا الكتاب ألفه ابن ابي السرح في سنة اربع وسبعين ومائتين[1]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) وكتبه صدقة بن الحنين في ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين وخمسمائة كذا ذكر في آخر نسخة أصلنا في مكتبة راغب باشا بالاستانة .

ابن زيدون

- ٣ -

محاسن هذه الرسالة ومعايبها

لا تقل هذه الرسالة عن سابقتها في محاسنها حتى يمكن ان نثبت كل ما ذكرناه من محاسن تلك في هذه .

ولم يتعرض شارحها ابن نباتة لشيء من معايبها كما فعل الصفدي في شرح الجدية غير انها لا تخلو من بعض وجوه النقد .

فما يؤخذ عليه فيها :

١ — سرد فقارها على أسلوب واحد في كل فصل من فصولها فيقول مثلاً :

ان فلان المشهور انما فعل فعله المظلم بسببك ومن اجلك بحيث لا يتعلم منها الناشئ المتأدب تنويع أساليب .

٢ — ومنها الاسفاف في العبارة حتى تكون أشبه بعبارة الفقهاء ومؤلفي القواعد منها بعبارة الادباء في الترسل . وما حمله على ذلك التعسف الا قصد إدماج قصة في فقرة او سجعة مثل قوله (وان احتيال هرم الخ) .

٣ — ومنها إعادة ذكر الرجال المضروب بهم المثل .

٤ — ومنها خلط علماء فن بعلماء فن آخر من غير ضرورة .

٥ — ومنها المماجزة في امور واقعة من كثيرين بحيث لا يمكن تعيين واحد منهم للمماجزة به كقوله « وانك الذي ... ناظر في الجوهر والعرض الى آخر هذا الفصل — وكلامه فيه كله تهافت ولغو خرج به عن الغاية التي قصد اليها وهي المماجزة برجال مشهورين . وهذا الفصل اضعف فصوله في الرسالة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦ — وقوله « ورجع بين مذهبي ماني وغيلان » — ولا موازنة بين المذهبين لان الاول ثنوي مجوسي والثاني قدري يتأول في الاسلام .

٧ — سرد الأمثال بدون ربط والجمع بينها لادنى ملابسة كقوله « فكدمت في غير مكدم الخ » .

٨ — سوء تعبيره في قوله « وبخرت و بسرت وعبست فكفرت » على لسان اديبة متظرفة مع فظاعة كلمة « بخرت» و بشاعة لفظ « كفرت» .

٩ — الهذاء، فيها بذكر العورات والفحش وبما لايليق ان يصدر عن وزير الى وزير او عن عذراء اديبة الى وزير كبير .

هذا الى هفوات أخرى اعرضنا عن ذكرها خوف الاطالة .

اسلوب الرسالتين اتباع لا ابتداع

يظن كثير من متأدبي زماننا ومن قبلهم ان أسلوب ابن زيدون في الرسالتين السالفتين غير مسبوق اليه وهو غير صحيح في جملته . ونحن وان كنا لم نقف على رسالة مطولة كلها مضرب امثال برجال اوافوال اومشهور المعالم، ولكننا نجد فصولاً كثيرة من رسائل المتقدمين صبت على هذا القالب من الكلام . والظاهر ان الاصل في هذه الغاية رسالة التربيع والتدوير التي وضعها الجاحظ في صفة احمد بن عبدالوهاب والتهكم به ثم نسج على منواله كثيرون في فصول من رسائلهم . ومنهم ابوبكر الخوارزمي وابو حيان التوحيدي والبديع فان ابن زيدون انتحى جانبهم في المعاجزة والموازنة بمشهوري الرجال في رسالتيه وبخاصة الهزلية ، فاما حله لمشهور الشعر ، واقتباسه من مأثور النثر ، فهي طريقة اهل زمانه في المغرب والمشرق : طريقة ابن العميد وحلبته التي انتقلت الى الاندلس ، واولع اهله بها ، غير انه كان يخالفها في عدم التزام السجع ، وفي الاستكثار من الامثال وحوادث التاريخ في رسالتيه ، وان كان في الهزلية اسجع .

وهاك أمثلة من فصول من ذكرنا من المتقدمين في رسائلهم :

فمن رسالة الجاحظ الآنفة فصل يعاجز به احمد بن عبد الوهاب و يتهكم به بمقايسته برجال اعلام قال :

« وكيف يرجو خيرك من يراك تطاول ابا جعفر وتخاشنه ، وتساوره وتراهنه ، ثم لا تفعل ذلك الا في المحافل العظام ، وبحضرة كبار الحكام ، ثم تستغرب ضحكاً من طمعه فيك ، وتعجب الناس من مجاراته لك ، واشهد انك تخاشن عمرو بن بحر الجاحظ وتماثله ، ثم تظارفه وتطاوله ، وتغني مع مخارق ، وتذكر فضل زلزل ، وتستجهل النظّام ، وتستبرد الأصمعي ، وتستغبي قيس بن زهير ، وتستخف الأحنف بن قيس ، وتبارز ابا الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه » .

وفصل منها ايضاً يصفه بقدم العمر قال :

« فيا عقيد الفلك كيف امسيت ، ويا قوة الهيولى كيف اصبحت ، ويا نسر لقمان كيف ظهرت ، ويا اقدم من دوس ، ويا اسن من لبد ...

حدثني كيف رأيت الطوفان ، ومتى كان سيل العرم ، ومذ كم مات عوج ، ومتى تبلبلت الالسن ، وما حبس غراب نوح ، وكم لبثتم في السفينة الخ الخ » .

ومن فصل له فيها :

« وكيف وقد اصبحت وما على ظهرها خود الا وهي تعبر باسمك ، ولا قينة الا وهي تغني بمدحك ، ولا فتاة الا وهي تشكو تباريح حبك ، ولا محجوبة الا وهي تنقب الخروق لمرك ، ولا عجوز الا وهي تدعو لك ، ولا غيور الا وقد شقي بك ... ولو ادركت ابن الخطاب لصنع بك اعظم مما صنع بنصر بن حجاج ، ولركبك باعظم مما ركب به جعدة السلمي ، بل لدعاء الشغل بك الى ترك التشاغل بها ، والغيظ عليك الى الرحمة لها الخ » .

ومن فصول ابي بكر الخوارزمي « ووفاته سابقة لوفاة ابن زيدون بنحو ثمانين سنة » .

فصل يستعجز نفسه عن امكان عتاب صديق له قال :

« واني لآخذ القلم لا كتب به عتابك فيتشظى عليّ ، ويسقط من يدي ، وكيف تساعدني بناني ، على ما يخالفني فيه جناني ، وكيف يطيعني بعضي فيما يعصيني فيه كلي ، ولو كنت احمد بن يوسف في البلاغة ، وعبد الحميد في اتساع الكتابة ، وجعفر بن يحيى في الاختصار ، وابا الربيع في التوسع والاكثار ، وابا العيناء في العارضة ، وابا العتاهية في البديهة ، وابن المعتز في التشبيهات ، وابا نواس في الخمريات والطرديات ، والعتابي في المعاتبات ، والنابغة في الاعتذارات ، وصريع الغواني في الاستعارات ، والفرزدق في

الخمريات ، وجريراً في المهاجاة . وغلبت في الخطابة صعصعة بن صوحان ، وقمت في الفصاحة خالد بن صفوان ، ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلاً ، وأتيت بعجوز آل رقبة مبتدعا ، وبعذراء آل خارجة مقتضبا ، وضرب بي المثل في المقامات لا بسحبان وائل ، وبوهي به في العي عندي لا بباقل ، وحفظت حفظ الشعبي ، وحاضرت محاضرة ابن القرية النمري ، وابدعت إبداع ابي تمام الطائي ، ووعظت عظة الحسن البصري ، وجادلت جدل النظّام في الكلام ، وصنفت تصنيف الجاحظ في الجد والهزل ، واربيت على إياس ابن معاوية في الذهن والعقل ، وبهرجت الاصمعي رواية ، وزيفت اباعبيدة حفظاً ودراية وعلمت امير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام ، ولقنت شريحاً القضاء والاحكام ، وصرت الذي زاده الله بسطة في العلم والجسم ، ووفقت توفيق سليمان في الحكم ، واخذ مني بطليموس علم الهيئة ، وارسطاطاليس علم الفلسفة ، وبلنياس باب الطلسم والحيلة ، وقرأ علي سيبويه نحو البصريين ، والفراء نحو الكوفيين ، واختلفت الي الهند في تعليم الحساب ، ودرس عليّ ابو عثمان المازني علم التصريف والاعراب ، واقتبس مني الخليل عروض الشعر ، وكان هاروت وماروت تلميذي في السحر ، وضرب على قالب خطي خط ابن مقلة ، ، تتوارث الكتابة اهل بيتي كما توارثها بنو ثوابة ، وأمليت على ابن الكلبي شجرة النسب ، وعلى ابي عمرو بن العلاء ايام العرب ، وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، وكنت الذي عنده علم من الكتاب ، وعددت في الراسخين في العلم عدا . وقال لي موسى هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً ، ثم حملت بعد هذا كله على ان يمضي بي في عتاب الاخوان لساني . او يجري فيه بناني . لقصر عن ذلك عناني . ولارتبك فيه عقلي وبياني . ولعييت والحق معي وانقطعت والحجة لي الخ . وللبديع فريم الخوارزمي فصل يشبه هذا .

ولابي حيان التوحيدي « وهو من اهل عصر الخوارزمي والبديع » فصل من كتابه في ثلب الوزيرين ابن العميد والصاحب بن عباد ينكر فيه على ابن عباد تكليفه نسخ أجزاء مطولة من رسائله فاعتذر وقال له ان في امكانه ان يجمع غررها فحقدها عليه الصاحب وتنكر له — وهذا الفصل حاكاه ابن زيدون في الجدية . قال ابوحيان :

« فقال (اي ابن عباد) : طعن في رسائلي وعابها ، ورغب عن نسخها وازرى بها ، والله لينكرن مني ماعرف ، وليعرفن حظه اذا انصرف — حتى كأني طعنت في القرآن ،

او رميت ··· بخرق الحبش ، او عقرت ناقة صالح ، او ··· في بئر زمزم ، او قلت كان النظّام مأبوناً ، او مات ابوهاشم في بيت خمار ، او كان عباد معلم صبيان ، وما ذنبي يا قوم اذا لم استطع ان أنسخ ثلاثين مجلدة الخ الخ ·

ولا يظنن القارئ لهذا الكلام انه مما يزري بابن زيدون ! فقليل من الناس من ينظر الجيد فيحكيه ، ويستمع القول فيتبع أحسن ما فيه ، ولو كانت العبرة ممكنة لكل احد لقلّ الجهول ، وارتفع الخطل من القول · ولو لا ان يفيد الآخر علماً من الاول ، ويولد المحدث معنى من المخضرم ، لقد بطلت الصناعات ، وماشهدنا هذه الحضارة الباهرة ·

* * *

تأثير الرسالتين في الادب والمتأدبين

لم يخل عصر من العصور التي تلت عصر ابن زيدون حتى عصرنا هذا من حفظة كثيرين لهاتين الرسالتين لاشتمالها على كثير من مادة الكاتب الاديب ، فوق جزالة لفظها وحصافة عبارتها ، فهما معدودتان من اثواب الذرائع التي يتخرج بها المتأدب والكاتب ، ولا أدل على ماقلنا من عناية أعلام الادباء بشرحها ومعارضتها والاحتذاء حذوهما ·

فمن الشراح صلاح الدين الصفدي شرح الرسالة الجدية أبدع شرح ، لم يقتصر فيه على حل المعنى وشرح الغريب وسوق الملح المناسبة للمقام ، وتراجم الاعيان الذين اشارت اليهم الرسالة حتى تعدى ذلك الى النقد الطريف · وذكر بعض ما عورضت به من الرسائل · وقد اقتبس شرحه من هذا الشرح الشيخ حمزة فتح الله في المواهب · ومنهم الشاعر الكاتب ابن نباتة المصري شرح الرسالة الهزلية بما لا يقل كثيراً عن شرح الصفدي للجدية وطبع الشرح الاول ببغداد والثاني مراراً بالقاهرة ·

وممن عارض الجدية مضاهياً بعض فصول الهزلية شيخ الانشاء بالديار المصرية و يعسوب الحلبة الفاضلية محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر عارضها برسالة أطول منها كتب بها الى الامير ناصرالدين بن شاور الكناني المعروف بابن النقيب سنة ٦٥٣ في معنى تحصص لنقصه عنده بسبب التواضع وهو ينسب الى رفض قال في مفتتحها ·

« بلغني أعزك الله ، ولا يرحث رحيب فناء الفخر ، فشبب ملبس العمر ، يانع ثمرة

الشكر ، مفعم حياض البر ، ان فلاناً غض مني كل غض الجفن ، وانه عبث بي عبث الايام بالمنى ٠٠٠ الى ان قال :

« والذي أقول له مخاطباً ، واوجبه اليه مجاوباً ، ان كان استرسالك أيها العابث عبثاً فما كل الافاعي تعبث بها الانامل ، ولا كل المراعي ينصب بها الحبائل ، ولا كل زخار يخاض ، ولا كل جناح يهاض ، ولا كل جابح يراض ، ولا كل سابغة تفاض الى ان قال :

« وعندي اني لااستحل ان آكل لقمة لك ولا بعد ثلاث ، ويعجبني ان تحفر لي بئراً تقع فيها ولا يعجبني ان أقع قبلك ، متى كانت الاسود مثل الثعالب ، وأعود الى محافقة فتعود الى اظهار اللبس ، فأقول : هل انت بافلان الانقروض بزور ، وآيس من الخير كا يئس الكفار من أصحاب القبور ٠ وآمن من العواقب ولله عاقبة الامور ٠ وما مبالاتي بك الامبالاة الديك بالبط ، والشجعة بالقط ، ورماح الخط بالقلام الخط ٠٠٠ ومامبالاتي الا مبالاة آدم بعدم سجود ابليس ، ولا تصبرني منه الانصرار الصرح الممرد بوطء بلقيس أم هل أبالي بك الا مبالاة البازي بالحمام ، والليث بالتفاف الخيس ٠ ومتى كانت همدان تفخر على كليب ، اوتحذر منها الكيد ٠ ام متى خاف الاسد من ابي زيد ٠٠٠ » ولم يزل يعارض فصلاً منها بفصل حتى اتى على القصيدة المجيبة المختتمة بها رسالة ابن زيدون فعارضها بمثلها في الروي والبحر والاسلوب قال في ابتدائها :

العلا في ارتشاف در العلوم والحلى في التشاح در الحلوم
والتناهي في فعل كل حميد والتباهي بكل خل حميم

ومن حاكى ابن زيدون في رسالته الصلاح الصفدي في ترجمته امام النحاة في عصره ابا حيان الاندلسي الجياني في كتاب أعيان العصر وأعوان النصر قال بعد ثناء كثير :

« فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضاً غير محبب ، اوعيسى بن عمر لاصبح من تقصيره وهو محدب ، اوالخليل لكان بعينه قذاة ، اوسيبويه به لما تروى من مسألة الزنبور به برداء ، اوالكسائي لاعراه حلة جاهه عندالرشيد وأناسه ، اوالفراء لفر منه ولم يقتسم ولداالمأمون القديم مداسه ، اواليزيدي لماظهر نقصه من مكامنه ، اوالاخفش لاخفى جملة من محاسنه ، او ابوعبيدة لما ترك ينصب لشعب الشعوبية ، او ابو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلق

بعربية ، اوالسكري لما راق كلامه في المعاني ولاحلا ، اوالمازني لما زانه قوله ، ان مصابكم رجلا ، او قطرب لما دب في العربية ولادرج ، اوثعلب لاستكن بمكره في وكره وللمخرج الخ » . وجرى على هذا النحو حتى اكمل الترجمة .

الى هنا قد عرفت خاصة كتابته في الرسالتين ومن اي معين استساغ نهلها ، واستطاب عللها ، وكتابته في غيرهما لا تخرج عن هذه الخاصة في الجملة من حيث عدم التزام السجع والتمثل بالامثال ، ولكنها أقرب الى الطبع وابعد من التكلف .

وهاك نموذجاً منها :

كتب الى بعض اصحابه وهو الاديب ابو بكر بن مسلم لما اختفى بقرطبة بعد فراره رسالة يعتذر فيها عن فراره فمنها .

أبدأ اولاً بشرح الضرورة الحافزة الى ماصنعت اذ بلغني انك احد اللائمين لي، ومن أمثالهم « هان على الاملس مالاقى الدبر » وأعاتبك على انفصالك عني و براءتك امد المحنة مني ، عسى ان نتلافى عوداً ماأضعت بدءا ، وان كنت في ذلك « كدابغة وقد حلم الاديم » فنفعة الغوث قبل العطب ، وفي علمك اني بحثت مغالبة بالهوى وهو اخو العمى . وقدنهى عنه تعالى فقال تعالى « ولا تتبع الهوى الآية » واشهد عليّ فلان الناشر لاُذنيه طمعاً ، لياًكل بيده جشعاً ، وقال فكان القول ماقالت حذام ، وليتني مع قبول مالاتحل شهادته عليّ ، يعذر فيه اليّ ، ولم يقرن الحشف بسوء الكيلة وكنت اول حبسي بموضع جرت العادة بوضع مستوري الناس وذوي الهيآت منهم فيه ، وفي الشر خيار ، وبعضه أهون من بعض ، ثم نقلت بعد حيث الجناة المفسدون ، واللصوص المقيدون، ومنع مني عوادي ، فشكوت الى الحاكم الحابس لي فصم عني ، ولو ذات سوار لطمتني .

وانك لم يفخر عليك كفاخر   ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ولم أستطع صبراً ، وعلمت ان العاجز من لايستبد ، فالمرء يعجز لا محالة ولم أستخر ان اكون ثالث الأذلين العير والوتد ، وذكرت ان الفرار من الظلم والهرب مما لايطاق ، من تشريع المرسلين . وقد قال تعالى على لسان موسى عليه السلام « ففررت منكم لما خفتكم » فنظرت في مفارقة الوطن اذ قديماً ضاع الفاضل في وطنه ، و كسد العلق[1] العبيط في معدنه .

(١) كذا في الاصل ولعله العلق النفيس في معدنه .

كما قال :

أضيع في معشري وكم بلد   يعود عود الكباء من حطبه

فاستخرت الله في انفاذ العزم ، وانا الآن بحيث أمنت بعض الامن الا ان السعي لم يرتفع ، ومادة البغي لم تنقطع .

وفي صدد هذه الرسالة يقول ايضاً :

ولقد كان من محاسن الشيم ، وشروط المروءة والكرم ، ان يهب لي ماالنكر لما عرف ، ويغفر ماسخط لما رضي ، ويدفع بالتي هي أحسن ، ويؤثر الذي هو أجمل وأرفق ، و يتوقف عندما نص له من سعاية ، وزف اليه من وشاية ، فان كان باطلاً ألغاه ، وفضح مخبر المتقرب به وأقصاه ، وان كان حقاً صبر صبر الحليم ، وأغضى اغضاء الكريم ، وقبل انابة المعتب ، والقصد في مؤاخذة المذنب ، فقدم التوقيف ، قبل التثقيف ، والتأنيب قبل التأديب ، فان الرفق بالجاني عتاب ، والحر يلحي والعصا للعبد .

ومنها : ولقد هجرت الارض التي هي ظئري ، والدار التي كانت مهادي ، وغبت عن أم انا واحدها ، تمد أنفاسها شوقاً الي ، وتغض أجفانها حزناً علي ، والله يرى بكاءها ، ويسمع لي على من كان نداءها ، فالاستجابة مضمونة للخالص والمظلوم ، ولدعوات السمعين ، واستوجبت الصفتين ، ولتكن بغيتك التي تدخرها عليها كلمة تأمين ، واشارة الى تأنيس وتذكير ، تراجعني بهما فأظهر بحيث انا آمنا ، وألقي العصا مطمئنا ، فان وجدت محزاً لشفرة ، فالعوان لا تعلم الخمرة ، وان اشبهت الليلة البارحة أعلقني بذلك لطلبت الأمن في مظانه وتقربت السلامة في مواطنها ، وصبرت حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

شعره

منزلته في الشعر — ان أدباء الاندلس وان غلب عليهم قرض الشعر لم يبلغوا فيه غاية فحول المشرق ، وان نوابغهم يجيئون دائماً مصلين لامجلين ، اذا علمت هذا فهمت ان قول من يقول من أدبائهم ومؤرخيهم بان ابن زيدون ليس معناه انه يراجع البحتري في ميزان البراعة ، الا اذا انقلب التشبيه فكان المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به ، وانما يعد بالاضافة الى شعراء الاندلس في طوالع الرعيل الاول ، وانه يجري على طلقه

في انثيال الصقيل من اللفظ ، والمنسجم من الاسلوب ، وفي ترقيق الغزل ، وبث حديث النفس وشكوى الغرام ، لا في كثير من فنون الشعر التي أبدع فيها البحتري اي ابداع كالوصف والمديح ، فكان أشبه به من غيره من الاندلسيين ، وكان بذلك بينهم سباق غايات وطلاع النجد .

اما نحن فمع حسن تقديرنا لمقال أدبائهم فيه وبعد قراءتنا ديوانه المحفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة نجعله في درجة ابن عبد ربه وابن دراج وابن عمار وابن خفاجة اي في الطبقة التي تلي طبقة ابن هانئ الاندلسي ، واذا قلنا ذلك فقد قلنا انه من شعراء الطبقة الاولى الاندلسيين اذ كان ابن هانئ في منزلته مقطوع القرين .

ونبوء ابن زيدون هذه المكانة في الشعر لا يستوجب له نظيرها في النثر ، فان امتلاك ناصية الصناعتين غاية لا تدرك .

من أجل ذلك لم يعرفه الاندلسيون كاتباً بقدر ما عرفوه شاعراً فلم يخض مترجموه منهم في نثره كالذي خاضوا في شعره ، وانما الذي جعل شهرته بالنثر عند المشارقة تنسخ شهرته بالشعر عند المغاربة ، انه راقهم من سعة اطلاعه وقوة استحضاره لمأثور الكلام والاستشهاد به ، لا قوة بلاغة نثره في ذاتها ، فان احد المعجبين به من شارحي رسائله وهو ابن نباتة المصري يقول في ترجمته له : « ونظمه أمكن عند النقاد وأجود من نثره » الى ان قال : « فأما نثره فانه اكثر فيه من استعمال أمثال العرب وحل اشعار المتقدمين والمتأخرين الى ان قيل ان رسائله أشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بهما على اطلاع معجب واستحضار معجز » واطلاعه هذا واستحضاره هما اللذان حولا وضع رسالتيه الجدية والهزلية بصورة تجعل كلتاهما وفضة أدب وجعبة أخبار ، لمتجهل الفصيل من نشأ المتأدبين ، فاستظهروهما فيما يستظهرون ولولاهما ما اعتبره المشارقة الا في عداد الشعراء لا الكتاب .

صفة شعره — قلَّ غرض من اغراض الشعر وفنونه لم يضرب فيه ابن زيدون بسهم . ولكن المتفق عليه عند اهل الادب ونقاد الشعر ان أجود شعره ما قاله في الغزل وشكوى الفراق . فقد سارت له في هذا الباب قصائد ومقطعات استعذبها المغاربة

والمشارقة لحفظوها وتغنوا بها . فنها قطعة يقولها في وداع ولادة بعد انصرافها من زيارة قال :

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن زاد في تلك الخطى اذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا حفظ الله زماناً أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم بت اشكو قصر الليل معك

وهذه الابيات عكس نسبتها المقري صاحب نفح الطيب فجعلها لولادة في ابن زيدون فقال في اثناء ذكره أخبار ولادة « وكتبت اليه لما أولع بها بعد طول تمنع .

ترقب اذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل اكتم للسر
وبي منك مالو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع و بالنجم لم يسر

وفت بما وعدت . ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الابيات . ودع الصبر الخ »
والعجب انه والمتفق عليه كل من روى قصة هذه الزيارة من ان الزائرة ولادة والمزور ابن زيدون بدليل قوله « ولما أرادت الانصراف » ولم يفطن لما رواه في القطعة .

يقرع السن على ان لم يكن زاد في تلك الخطا اذ شيعك

فا الذي يشيع هذا المزور المقصود لا الزائر المنصرف .

وان سلمنا جدلاً صحة روايته — وهو لم يذكر مصدرها — اضطررنا لتأويل أن الزيارة لم تكن في دار احدهما بل كانت في فضاء بعيد عن منازلها بحيث يتأتى ان تساير ولادة ابن زيدون الى ناحية داره بما يحتمل ان يسمى تشييعاً ولكن كان على رواة القصة ان يسموها تلاقياً على موعد . على انه يأبى هذا الفرض ان الزيارة كانت ليلاً فكيف تشيع فتاة عذراء من بنات الملوك بعد دل وامتناع في آخر الليل وفي ضاحية من المدينة رجلاً محباً لم تزره الا بعد ان أعياه الجهد في استزارتها ؟ ولئن كان ما فرض والمقاكان ابن زيدون أنذل عاشق عملنا .

ولعل الذي صدق على المقري ظنه ورود ذكر المقولة فيه الابيات بلفظ المذكر غير ان المقري وهو المطلع العظيم قرأ لابن زيدون شعراً كثيراً كنى فيه عن ولادة احياناً

ARCHIVE

بلفظ المذكر الواحد والجماعة تعمية للوشاة والرقباء كما صرح بذلك مراراً في شعره .
ومن غزلياته قوله :

يا قمراً مطلعه المغرب … قد ضاق بي في حبك المذهب
الزمتني الذنب الذي جئته … صدقت فاصفح أيها المذنب
وان من أغرب ما مر بي … ان عذابي فيك مستعذب

وقوله وهو من أرق ما سمع في هذا الباب :

يا نازحاً وضمير القلب مثواه … أنستك دنياك عبداً انت دنياه
الهتك عنه فكاهات تلذ بها … فليس يجري ببال منك ذكراه
عل الليالي تبقيني الى أمل … الدهر يعلم والايام معناه

وقوله في ذكرى ولادة والشوق اليها وتضمن وصفاً بديعاً :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً … والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله … كأنما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم … كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت … بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر … جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقي … بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته … فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق … وسنان نبه منه الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا … اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم … لكان من اكرم الايام اخلاقا
لا سكن الله قلباً عند ذكركم … فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا … وافاكم بفتى اضناه مالاقى
كان التجازي بمحض الود مذ زمن … ميدان انس جرينا فيه اطلاقا
فالآن احمد ما كنا لعهدكم … سلوتم وبقينا نحن عشاقا

ومن أشهر غزلياته وأسيرها شرقاً وغرباً قصيدته النونية التي تعتبر مثالاً جميلاً للشعر الاندلسي وقل أديب لم يحفظها او شيئاً منها . وهي مذكورة في كثير من كتب الأدب ومجموعات الشعر . قال ابن نباتة فيها « وقد تداولتها الألسن وزيد فيها ما كانت غنية عنه » . وأولها :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا … وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا … شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا … يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت … سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا … ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانية … قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما … كنتم لارواحنا الا رياحينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم … حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا
ان الزمان الذي مازال يضحكنا … أنساً بقربكم قد عاد يبكينا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا … فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم … رأياً ولم نتقلد غيره دينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا … ان طالما غير النأي المحبينا
والله ما طلبت اهواؤنا بدلاً … منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياساري البرق غاد القصر فاسق به … من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا … من لو على البعد حياً كان يحيينا
يا روضة طالما أجنت لواحظنا … ورداً جلاه الصبي غضاً ونسرينا
لسنا نسميك اجلالاً وتكرمة … وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا

وهي طويلة ختمها بقوله :

عليك مني سلام الله ما بقيت … صبابة منك تخفيها فتخفينا

قال الصفدي في صدد ذكر هذه القصيدة « وعارض بها البحتري في قوله :

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

يكاد عاذلنا في الحب يغرينا فما لجاجك في عزل المحبينا
نلحى على الوجد من ظلم فديدننا وجد نعانيه او لاح يعنينا »

وقد عارض هذه القصيدة كثير من متأخري المشارقة في غرضها وفي غير غرضها وبلغ ولع صفي الدين الحلي بها ان خمّسها كلها . وأغرب ما في هذا التخميس ان صرفها به من الغزل الى الرثاء فرثى به السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة وقد حضر موته سنة ٧٣٢ وهاك تسميط البيتين الاولين فيها :

كان الزمان بلقيا كم يمنينا وحادث الدهر بالتفريق يثنينا
فعندما صدقت فيكم أمانينا أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

خلنا الزمان بلقيا كم يسامحنا لكي تزاد بذكراكم مدائحنا
فعندما سمحت فيكم قرائحنا بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما قاله في الشكوى صدر قصيدة بعث بها في رسالة الى ابي حفص بن برد من سجنه .

ما على ظني باس يجرح الدهر ويأسو
ربما أشرف بالمر ء على الآمال ياس
ولقد ينجيك أغفا ل ويؤذيك احتراس
ولكم أجدى قعود ولكم اكدى التماس
وكذا الحكم اذا ما عزّ ناس ذلّ ناس
وبنو الايام أخيا ف سراة وخساس
نلبس الدنيا ولكن متعة ذاك اللباس

وله مدح بليغ في آل جهور وآل عباد ولكنه في آل عباد أبلغ لمكان السن والتجربة فليراجع في ديوانه .

فأنت ترى مما أوردناه عليك من شعره ان معانيه مسبوقة بحيث يصعب على الباحث

أن يرى فيها اختراعاً ولكنه كساها ثوباً أنيقاً من اللفظ الرشيق وخاصة الغزل والشكوى والعتاب · وقد تجد في مدحه ورثاء مسحة من الفخامة والجزالة يقارب بها ابن هانئ الاندلسي يقتضيهما المقام ·

وقد كنا عزمنا على ان نسهب القول في نقد بعض شعره وبيان بعض محاسنه والموازنة بينه وبين غيره الا اننا الى هنا مللنا الشطو بل · وظننا ان نلم بذلك في فرصة أخرى ·

على اننا معشر المشارقة انما نترجم له كاتباً لا شاعراً لمكان رسائليه عند أدبائنا وعنايتهم بشرحها ·

(القاهرة) : احمد الاسكندري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مذهب الجاحظ[1]

في التفسير والتأويل

—«×»—

تبين لنا ان الجاحظ يعتمد في تحقيق العلم على العقل وقد وضحنا مذاهبه في هذا الباب ولم يقتصر في إعماله العقل على العلم او على الفلسفة وانما أعمل هذا العقل في الدين وخاصة في تفسير الآيات وتأويل الأحاديث وشأننا في مجلسنا هذا ان ننتخب نماذج من تفسيره وتأويله ظهرت عليها آثار العقل ، وغايتنا في انتخابنا تبيين الصفة الغالبة من صفات الجاحظ وهي صفة المفكر ، فلسنا نرمي الى التخطئة والتصويب في هذه السبيل فلكل رأيه في التفسير والتأويل ومالنا في هذا الرأي الا الحيدة التامة .

قد كنت ذكرت لكم في كلامي على ثقافة الجاحظ ، وعلى أساتيذه قول النظّام في المفسرين : لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين وان نصبوا انفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة الى آخر هذا القول ، وبيّنت لكم ان الجاحظ يشارك النظّام في هذا الرأي فمن قول الجاحظ في هذا الباب[2] :

« وليس يؤتى القوم الا من الطمع ومن شدة إعجابهم بالغريب من التأويل » .

فمذهب الجاحظ في التفسير والتأويل اجتناب الغريب منهما ، فقد تمرّ به احاديث يحتج بها طائفة من القوم فيردها دون شيء من التصديق ، وقد يخالف هذا الردّ ، فمرة

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

(٢) كتاب الحيوان الجزء الاول ص ١٦٩ .

يردّها رداً مجرداً دون الافاضة في بيان العلة ، من هذا الشكل قوله [١] :

« هشام بن عروة قال : أخبرني أبي ان عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت تقتل الأوزاغ . —

يحيى بن ابي انيسة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسق ، قالت : ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتله . —

عبد الرحمن بن زياد قال : وأخبرني هشام عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الفويسق . —

ابوبكر الهذلي عن معاذ عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ ، وفي يدي عكاز فيه زُجّ فقال : ياعائشة ماتصنعين بهذا ؟ قلت : أقتل به الوزغ في بيتي . قال : ان تفعلي فان الدواب كلها حين القي ابراهيم صلى الله عليه في النار كانت تطفئ عنه ، وان هذا كان ينفخ عليه فصمّ وبَرص . —

وهذه الاحاديث كلها يحتج بها اصحاب الجهالات ومن زعم ان الاشياء كانت كلها ناطقة وانها أمم مجراها مجرى الناس » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومرة يردها لان رُواتها يروونها دون توضيح شيء من عللها وبرهاناتها مقتصرين فيها على ظاهر الفاظها ، فالجاحظ لا يصدّقها . فلنضرب مثلاً لذلك [٢] :

بحث الجاحظ عن الكلام المتروك والأسماء التي زالت مع زوال معانيها كالغلامة بمعنى الجارية وكالمرباع والنشيطة ومن الاسماء التي حدثت في الاسلام ولم تكن في الجاهلية وانما اشتقت من اسماء متقدمة على التشبيه مثل قولهم لمن ادرك الجاهلية والاسلام : مخضرم ، ومثل قولهم : المنافق والمشرك والكافر والتيمم :

وبحث عن بعض كلام كرهوه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: لا يقولن احدكم خبثت نفسي ، ولكن ليقل لقست نفسي ، كأنه كره ان يضيف المؤمن الطاهر الى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه .

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع ص ٩٦ .

(٢) « « « الاول ص ٦٦ .

وبعد أن أفاض بعض الافاضة في أشباه هذه المباحث قال :

« وقد كرهوا أشياء مما جاءت في الروايات لا نعرف وجوهها ، فرأى اصحابنا لا يكرهونها ولا نستطيع الردّ عليهم ، ولم نسمع لهم في ذلك اكثر من الكراهة ، ولو كانوا يروون الامور مع عللها وبرهاناتها خفّت المؤنة ولكن اكثر الروايات مجرّدة وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ودون الاخبار عن البرهان وان كانوا قد شاهدوا النوعين مشاهدة واحدة ، قال ابن مسعود وابوهريرة لا تسموا العنب الكرم ، فان الكرم هو الرجل المسلم ، وقد رفعوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ، واما قوله لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله ، فما أحسن ما فسّر ذلك عبدالرحمن بن مهدي قال وجه هذا عندنا ان القوم قالوا وما يهلكنا الا الدهر ، فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الله ، يعني ان الذي أهلك القرون هو الله عزّ وجل ، فتوهم منه المتوهم انه انما أوقع الكلام على الدهر » .

وحيناً يردّ الأحاديث ويجادل في ردّها ، من هذا القبيل قوله[1]

وقالوا في الحديث انه من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا قنص فهو آثم ، ....

وبعدُ ، فلعلّ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال هذا القول على الحكاية لأقاويل قوم ولعلّ ذلك كان على معنى كان يومئذ معلوماً فترك الناس العلّة ورددوا الخبر سالماً من العلل ، مجرداً غير مميز ، ولعلّ من سمع هذا الحديث شهد آخر الكلام ولم يشهد اوله ، ولعله عليه الصلاة والسلام قصد بهذا الكلام الى ناس من أصحابه قد كان دار بينهم وبينه شيءٌ فيه ، وكل ذلك ممكن سائغ غير مستنكر ولا مدافع » .

هذا مذهبه في ردّ الأحاديث التي يشك في روايتها ، ولقد ذهب هذا المذهب في تفسير الآيات ، فكما كره الغريب من تأويل الأحاديث فقد كره الغريب من تفسير الآيات ، ولم يخل من تهكم على بعض المفسرين ، وقد يظهر تهكمه من مجرّد ذكره لتفسيرهم من هذا النوع قوله ، وقد سمعتموه من قبل[2]

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول ص١٤٧ .

(٢) « « « ص ٦٧ .

« وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ان اهل سفينة نوح كانوا تأذوا بالفار فعطس الأسد عطسة فرمى من منخريه بزوج سنانير فلذلك السنور أشبه شيء بالاسد وسلح الفيل زوج خنازير ، فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل .

قال كيسان : فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنانير ، وتلك السنورة حواءها وضحك القوم » .

نعم ، يكره الجاحظ الغريب من التفسير ، ومن تعرضه لتأويل قول رفع الى ابي موسى يتبين لكم مقدار إحاطته ببواطن الامور ، فهو لا يقتصر على ظواهرها وانما يتولى الكشف عن أسرارها ، وهذا تأويله الذي أشرت اليه [1] :

وعن قتادة ان اباموسى قال : لا تتخذوا الدجاج في الدور فتكونوا اهل قرية ، وقد سمعتم ماقال الله تعالى في اهل القرى : أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، وهذا عندي من ابي موسى ليس على مايظنه الناس لان تأويله هذا ليس على وجهه ، ولكنه كره للفرسان ورجال الحرب اتخاذ ماتتخذه الفلاح واصحاب التعيش ، مع حاجته يومئذ الى تفرغهم لحروب العجم ، واخذهم في تأهب الفرسان ، وفي دربة رجال الحرب ، فان كان ذهب الى الذي يظهر في اللفظ فهذا تأويل مرغوب عنه » .

وقبل أن أتعرض لذكر طائفة من أنماط تفسيره لا أرى بأساً برواية بعض كلام له يدل على مقدار كراهيته للغريب من تأويل اي شيء كان حتى قال ولم يهلك الناس شيء كالتأويل ، وهذا هو كلامه [2] :

ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون الى انه اذا عزم على الشياطين والارواح والعمار أجابوه وأطاعوه ، فمنهم عبد الله بن هلال الحميري الذي كان يقال له صديق إبليس ، ومنهم كرباس الهندي وصالح الموسوي وقد كان عبيد يقول ان العامري حريص على إجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح ان يكون هيكلاً لم يستطع دخوله ، والحيلة في ذلك ان يتبخر باللبان الذكر ويراعي سير المشتري و يغتسل بالماء القراح و يدع الجماع واكل الزهومات و يتوحش في الفيافي ويكثر دخول الخرابات حتى يرق و يلطف و يصير فيه

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول ص١٤٣ .

(٢) « « « السادس ص٦٠ .

مشابه من الجن فان عزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودون لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه هيكلاً لهـا ومتى عاد ضبطه فربما جن وربما مات ، قال : فلو كنت ممن يصلح ان يكون هيكلاً لكنت فوق عبدالله بن هلال ، قال الاعراب وربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياماً وقباباً وناساً ثم فقدناهم من ساعتنا والعوام تروي ان ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلاً من الزط فقال هو لا أشبه من رأيت من الجن ليلة الجن ، قال وقد روي عنه خلاف ذلك وتأولوا قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ولم يهلك الناس شيء كالتأويل ومما يدل على ماقلنـا قول ابي النجم حيث يقول .

يجيث تستن مع الجن الغول .

فأخرج الجن من الغول الذي بانت به الجن وهذا عادتهم ان يخرجوا الشيء من الجملة بعد ان دخل الشيء في الجملة فيظهر لأمر خاص وفي بعض الرواية انهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الأوثان همهمة وان خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخذه حتى عوذه النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليمتحن بها الاعراب من العوام وما اشك انه كان للسدنة حيل والطاف لمكان التكسب » .

من هذا يتبين لنا انه يرد الامور الى حقائقها ويبين في كل فتنة جواهر عللها ، فليس في أجواف الأوثان شيء من الهمهمة وانما هي حيل والطاف يلجأ اليهـا السدنة على سبيل التكسب .

فلنعجل بعد هذا كله ، فنبين مواطن من تفسيره ظهرت عليها آثار عقله .

مرة يحمل اللفظ على ظاهره فالشيطان في اللغة معروف امره ولكن من المفسرين من فسر رؤوس الشياطين في الآية الوارد ذكرها تفسيراً عده الجاحظ غريباً ، ولفرغ لرد التفسير الى حقائقه ، مبيناً السبب الذي من اجله قد نستقبح الشيء ولم نر صورته ، فمن كلام الجاحظ في خلال تفسير بعض الآيات قوله في تأويل هذه الآية[1] :

« انها شجرة تخرج في اصل الجحيم . طلعها كأنه رؤوس الشياطين . قال الجاحظ في تأويل هذه الآية : وليس ان الناس رأوا شيطاناً قط على صورة ولكن لما كان الله قد جعل لنا في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستسماجه وكراهته واجرى

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع ص ١٣ .

على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالايحاش والتنفير وبالاخافة والتقريع الى ماقد جعله الله في طباع الأولين والآخرين ، وعند جميع الامم على خلاف طبائع جميع الامم ، وهذا التأويل اشبه في قول من زعم ان رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن » .

ومرةً يحمل الكلام على باطنه ، فالتين في اللغة والزيتون معروف امرهما ، ولكن الجاحظ في تفسير قوله تعالى والتين والزيتون ، لم يقف عند ظاهر المعنى ، وانما نفذ بواطن الامور استنباطاً لحكم منها ، من هذا النحو قوله[1] :

وقد قال الله عز وجل والتين والزيتون ، فزعم زيد بن أسلم ان التين دمشق والزيتون فلسطين وللغالية في هذا تأويل ارغب عن التعبير عنه وذكره ....

والكلمات في هذا الموضع ليس يريد بها القول والكلام المؤلف من الحروف وانما يريد النعم والأعاجيب والصلاة وما اشبه ذلك ، فان كان من هذه الفنون لو وقف عليه رجل رقيق اللسان صافي الذهن صحيح الفكر تام الأداة لما برح ان تحشره المعاني وتغمره الحكم .

وحيناً يعترض المعترضون في بعض الآيات فيجرد الجاحظ لردهم الى الصواب ذاهباً في هذا مذهب المتكلمين . من هذا القبيل قوله[2] :

وسنذكر مسألة كلامية وانما نذكرها لكثرة من يعترض في هذا ممن ليس له علم بالكلام ولو كان اعلم الناس باللغة لم ينفعك في باب الدين حتى يكون عالماً بالكلام وقد اعترض معترضون في قوله عزّ وجلّ « واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » فزعموا ان هذا المثل لا يجوز ان يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام لانه قال « واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » فما يشبه حال من أعطي شيئاً فلم يقبله ولم يذكر غير ذلك بالكلب الذي ان حملت عليه نبح وولّى ذاهباً وان تركته شد عليك ونبح مع ان قوله يلهث لم يقع في موضعه وانما يلهث الكلب من عطش شديد وحرّ

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول ص ٩٧ .

(٢) « « « الثاني ص ٦ .

شديد ومن تعب . واما النباح والصياح فمن شيء آخر ، قلنا له ان قال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فقد يستقيم ان يكون المراد لايسمى مكذبا ولا يقال لم كذبوا الا وقد كان ذلك منهم مراراً فان لم يكن ذلك فليس بعيد ان يشبه الذي اوتي الآيات والاعاجيب والبرهانات والكرامات في بدء حرصه عليها وطلبه لها بالكلب في حرصه وطلبه فان الكلب يعطي الجد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات ، وشبّه رفضه وقذفه لها من يديه ورده لها بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها بالكلب اذا رجع ينبح بعد اطرادك له وواجب ان يكون رفضُ قبول الاشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها والحرص عليها . والكلب اذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلاً اليك ومدبراً عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش . وعلى اننا مانرى بابصارنا الى كلابنا وهي رابضة وادعة الا وهي تلهث من غير ان تكون هناك الا حرارة اجوافها والذي طبعت عليه من شأنها الا ان لهث الكلب يختلف بالشدة واللين .

وحيناً يطعن في بعض الآيات ناس من المحدين وبعض من لا علم له بلغة العرب ومداخلها ومخارجها فيهديهم الجاحظ سواء السبيل مفصّلاً لهم مذاهب لغة العرب أدق تفصيل ، من هذا النوع قوله [1]

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد طعن ناس من المحدين وبعض من لا علم له بوجوه اللغة وتوسع العرب في لغتها وفهم بعضها عن بعض بالاشارة والوحي فقالوا قد علمنا ان الشمع شيء ينقله النحل مما يسقط على الشجر فيبني بيوت النحل منه ثم ينقل من الاشجار العسل الساقط عليها كما يسقط الترنجبين والمن وغير ذلك الا ان مواضع الشمع وآثاره أخفى وأقل فليس العسل بقيء ولا رجيع ولا دخل نحلة في بطن قط وفي القرآن قول الله عزّ وجل « واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » ولو كان انما ذهب الى انه شيء يلتقط من الاشجار كالصموغ وما يتولد من طباع الأنداء والأهواء والأشجار انما تمازجت لما كان في ذلك عجب الا بقدر مانجده في أمور كثيرة ، قلنا فقد زعم ابن حائك وناس من جهال الصوفية ان في النحل أنبياء لقوله

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس ص ١٢٨ .

عزّ وجل « وإذ أوحيت الى الحوار يين » وماخالف ان يكون في النحل أنبياء بل يجب ان تكون النحل كلها انبياء لقوله عزّ وجل على المخرج العام واوحى ربك الى النحل ولم يخصص الامهات والملوك واليعاسيب بل اطلق القول إطلاقاً وبعد ان كنتم مسلمين فليس هذا قول احد من المسلمين والاّ تكونوا مسلمين فلمَ تجعلوا الحجة على نبوة النحل كلاماً هو عند كم باطل . واما قوله عزّ وجل يخرج من بطونها شراب فالعسل ليس بشراب وانما يحول بالماء شراباً او بالماء نبيذاً فسماه كما ترى شراباً اذ كان مما يجيء منه الشراب وقد جاز في كلام العرب ان يقولوا جاءت السماء اليوم بامر عظيم وقد قال الشاعر :

اذا سقط السماء بارض قوم   رعيناه وان كانوا غضابا

فزعموا انهم يرعون السماء وان السماء تسقط ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها ومتى حمل اللغة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه قالــ وبأسبابه اتسعت وقد خاطب بهذا الكلام اهل تهامة وهذيل وضواحي نجد هؤلاء اصحاب العسل والاعراب اعرف بل صمغة سائلة وعسلة ساقطة فهل سمعتم باحد انكر هذا البيان او طعن عليه من هذه الجهة .

والأمثال في هذا الباب كثيرة ، فاذا حاولنا الاستقصاء فيها تراخى أمد الكلام ، فالذي يستخرج من كل ما تقدّم ان الجاحظ في امور الدين يذهب مذهبه في امور العلم فكما نبّه في العلم على المسائل التي خرج فيها أصحابها من العقل ، فكذلك نبّه في امور الدين على المسائل التي لا تطابق العقل ، وتنبيهه كان على أساليب شتى ذكرت شيئاً منها ، ومهما اختلفت هذه الاساليب فان جوهرها واحد فالجاحظ لا يريد الا العلة والا البرهان في كل مسألة من المسائل ولقد عابوه باستهزائه من بعض الأحاديث او من بعض الآيات ولو أنصفوا لعدّوا له فضلاً عظيماً في التفسير والتأويل فقد تبين لكم كيف يتفرغ للرد على بعض الطاعنين في القرآن فيُهيب بهم الى الصواب آخذاً عليهم مداخل الطرق ومخارجها يحمل الألفاظ مرةً على ظواهرها اذا كانت الحكمة في حملها على الظواهر ومرةً يحملها على بواطنها اذا كانت الحكمة في حملها على البواطن حتى لا يبقى للطاعنين متنفس يتنفسون منه .

دمشق : ٩ أيار سنة ١٩٣١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اثر خالد

في تاريخ الفكر العربي

— كتاب الفهرست لابن النديم —

—*—

توارد الفرنج الى المشرق لغايات شتى فاحتملوا معهم هم ورجال حملة نابليون كثيراً من المخطوطات العربية . وكان بين هذه المخطوطات اثنتان لفهرست ابن النديم جيء باحداهما من القاهرة الى باريس في القرن الثامن عشر وجيء بالاخرى من القسطنطينية الى ليدن في نفس ذلك الزمن تقريباً فتهافت علماء المشرقيات الجرمان على هاتين النسختين وعهد الى الاستاذ « جوستاف فلوجل » درسها حوالي سنة ١٨٥٠ م فاستغرق درسه نيفاً وعشرين عاماً وتوفي سنة ١٨٧١ قبل ان ينجز طبعها فأشرف على الطبع مكانه « روديجر وموللر » وقد نجزت طبعة الكتاب في سنة ١٨٧٢ م . ومع ان الكتاب جاء – كغيره من المخطوطات التي تطبع لاول مرة – مملوءاً بالاغلاط الفاحشة فقد كانت له مكانة عظيمة في الاوساط الاوربية التي تهتم بالمشرقيات لاسيما وقد بذل فلوجل جهده في ضبط اسماء الرجال من المصادر العربية التي كانت بين يديه عندئذ . بيد ان النسخة التي طبعها ظلت مبتورة . وهذا ثابت بدليلين :

اولهما – ان ياقوت يذكر في «معجم الادباء» اسماء كثير من العلماء ثم يصرح نقله عن كتاب الفهرست فاذا رجعنا الى النسخة المطبوعة لانجد لذلك اثراً على الاطلاق [1] ومثال ذلك انه « اورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من معجمه (ص٧٥) ونقل فيها عن كتاب الفهرست ان ابن النديم قال : (ورأيت انا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى

(١) كتاب التاج – تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ص٤٤ .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويكنى اباليحي وراق الجاحظ) ولا توجد هذه العبارة في النسخة المطبوعة [١] » .

ثانيها — « ان الاستاذ (هوتسما) عثر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم وهي غير واردة في النسخة المطبوعة فنشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية [٢] » .

وقد ساعد الحظ المستشرق (ريتر) فعثر في العام الماضي على مخطوطتي الفهرست الاصليتين بعد ان فقدتا زمناً طويلاً — اعني : مخطوطة باريس وهي تتضمن المقالات الست الاولى من الكتاب والمخطوطة المنقولة من مكتبة شهيد علي باشا بالقسطنطينية وليس فيهما الا اربع المقالات الاخيرة من الكتاب وهذه ربما كانت بخط المؤلف نفسه — وأخذ يعد طبعة جديدة كاملة مستنداً اليهما وعلى مخطوطة يكي جامع [٣] ومخطوطتي الكوبريلي [٤] بالقسطنطينية ولكن فاته ان يتصل بالنسخة الموجودة بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة المنورة [٥] ولهذا ستظل نسخته ناقصة .

والذي يظهر ان المؤلف جعل كتابه في جزءين مستقل احدهما عن الآخر : ضمّن الاول منهما وهو ما حوته مخطوطة باريس — أبحاثاً اسلامية محضة (الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والنحو والسير والشعر والشعراء والكلام والمتكلمين والفقه والفقهاء والمحدثين) . وضمّن الثاني ابحاثاً عن علوم عرفت قبل الاسلام ونمت في أوساط غير اسلامية (الفلسفة والعلوم القديمة والأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة والمذاهب والاعتقادات والكيائيين والصفو بين من الفلاسفة القدماء والمحدثين) والدليل على ذلك ان المؤلف يتخذ سنة ٣٧٧ ه تاريخاً لتأليفه ويذكرها في مواضع كثيرة من القسم الاول من الكتاب بينما هو لا يتعرض لها ابداً في القسم الثاني منه .

على ان الكتب الاخرى التي يمكن الالتجاء اليها في ضبط الكتاب أصبحت اليوم كثيرة بفضل ماطبع في مصر واوربا من كتب التاريخ والتراجم العربية لدينا اليوم طبقات الاطباء ومعجم الادباء وتاريخ ابن القفطي ونزهة الألباء وبغية السيوطي مثلاً وكلها قريبة المتناول

(١) كتاب التاج — تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ص٤٤ .

(٢) « « ص٤٥ . (٣) رقم ٨١٥ وعنوانها اسامي الكتب المسمى بالتذكار الجامع للآثار . (٤) رقم ١١٣٤ و١١٣٥ وكل منهما عنوانه فهرس العلوم .

(٥) رقم ٤٤٧ بعنوان فهرست العلوم القديمة .

وحبذا لو ان الاستاذ احمد امين الذي وقف على طبع الكتاب في العام الماضي قام بهذه المهمة الشاقة فصحح لنا الكتاب وأظهره كاملاً بقدر الامكان · على ان الأمل في الحصول على نسخة تامة صحيحة في القريب العاجل كبير جداً وقد عهدت جامعة كولومبيا الى الدكتور (ضودج) رئيس الجامعة الاميركية في بيروت بان يقوم بتصحيح الكتاب وترجمته الى اللغة الانكليزية ·

غير ان معرفتنا بالمؤلف نفسه ستظل كما كانت سابقاً اذ لم يتح لاحد ان يكتشف مخطوطة جديدة تُفصل من حياة ابن النديم ما أجملته الكتب التي لدينا اليوم والتي نعتقد بانه لم يكن لها مصدر نقتبس منه سوى كتاب المؤلف نفسه · وعلى هذا فليست كتابة ياقوت في (إرشاد الاريب) ولا كتابة ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (في لسان الميزان الملحق بميزان الاعتدال للذهبي) إلاّ مصدراً ثانوياً عن حياة المؤلف · وكذلك لا يمكننا ان نقبل من ابن النجار قوله (في ذيل تاريخ بغداد) ان ابن النديم « مات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ هـ » وابن النديم نفسه يذكر في تراجم بعض الرجال تواريخ بعد هذه السنة اللهم الا ان ذهبنا مذهب فلوجل والاستاذ احمد امين[1] وقلنا « ان المؤلف كتب نسخته سنة ٣٧٧ هـ وكان يترك فيها بياضاً يملؤه بما يجده بعد ذلك او يضع على النسخة تعليقات في أزمنة مختلفة » وقد « جرى ذلك في تراجم ابن خلكان[2] » ·

ولذا نعتبر هذه التواريخ منحولة بكاملها كما قال (فيك[3]) فلنول وجهنا اذاً شطر كتاب المؤلف لنقف — قدر المستطاع على حقائق حياته منه ·

اسمه محمد بن اسحق النديم المعروف بابي الفرج ابن ابي يعقوب الوراق[4] كتب الجزء الاول من كتابه كما يقول مراراً فيه — سنة ٣٧٧ هـ ثم أضاف اليه مقالات أخرى بين هذا التاريخ واول القرن الخامس · وأخبرنا ابن النديم في مكان آخر من كتابه في ترجمة البردعي[5] بانه « لقيه وكان به آنساً » وهذا ما يجعلنا نفترض تاريخاً لولادته يختلف بين سنة ٣٢٠ وسنة ٣٢٥ هـ ويكون قد بدأ كتابة مؤلفه بعد ان اجتاز العقد الخامس من عمره وتوفي في

(١) انظر مقدمة طبعة فلوجل ومقدمة طبعة مصر · (٢) أبدى لي هذا الرأي الاستاذ السيد عمر الصالح البرغوثي سنة ١٩٣٠ · (٣) في مجلة جمعية المستشرقين الجرمان ZDMG ج٨٤ ص · (٤) انظر ص ٢٨٠ و٣٣١ من طبعة مصر · (٥) ص ٣٣٠

ARCHIVE

أول القرن الخامس شيخاً كبيراً . نعرف ذلك من قوله في ترجمة ابن نباتة انه « ابونصر ابن نباتة التميمي من شعراء سيف الدولة وتوفي بعد الاربعمائة[1] » ومن قوله في ابن جني انه توفي سنة ٣٩٢ هـ[2] .

اما موطنه فبغداد بلاشك لانه يذكر كثيراً عن تفاصيل حياة البغداديين فيحصي لنا عدد مانوية بغداد ايام حكم معزالدولة فيقول : « فأما مدينة السلام فكنت أعرف منهم (اي المانوية) في ايام معزالدولة نحو ثلاثمائة واما في وقتنا هذا فليس بالحضرة منهم خمسة انفس[3] » .

وقد قال ابن النديم في حديثه عن مذاهب أهل الصين انه لقي راهباً من اهل نجران كان قد « أنفذه الجاثليق ... الى بلد الصين وأنفذ معه خمسة أناسي من النصارى وعاد من الجماعة هذا الراهب وآخر » قال : « فلقيته بدار الروم وراء البيعة » . وقد ذهب فلوجل في سنة ١٨٧١م وأيد مذهبه المستشرق (فيك) الى ان دار الروم هي القسطنطينية وأن البيعة هي كنيسة القسطنطينية الكبرى التي شادها يوستنيانوس وحولها الترك فيما بعد الى مسجد آجياصوفيا . وعلى ذلك قالا : ان ابن النديم زار القسطنطينية . وخالفهم في هذا الرأي جمهور المستشرقين والاستاذ احمد امين . والحقيقة ان ابن النديم — على مانعرف — لم يصل القسطنطينية وليس في وسعنا ان نستنتج من هذه العبارة انه كان فيها ذات يوم . ونثبت ذلك بخمسة براهين :

اولها — ان التاريخ — على مانعرف — لم يذكر ان العرب اسموا القسطنطينية دار الروم بل كانوا يعرفونها (ببلد الروم) وهكذا فعل ابن النديم نفسه في كتابه .

ثانيها — ان مؤرخي العرب يقولون ان المدن العربية الكبرى كانت منقسمة الى محال وكل محلة من هذه كانت تعرف بدار وتنسب الى اسم معين فمن ذلك مثلاً : ان ياقوت[4] يقول :

« دار القز محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء ... وكل ماحولها قد خرب ولم يبق الا اربع محال متصلة » ثم يقول : « دار الفرج محلة كانت ببغداد » وان صاحب

(١) ص ٢٤٠ . (٢) ص ١٢٨ . (٣) ص ٢٧٢ .
(٤) معجم البلدان ج٢ ص ٥٣٢ ليبسك سنة ١٨٦٧ .

التكملة[1] قال : « لما ورد سيف الدولة الى بغداد فاجتـاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان » .

ثالثها — ان ابن النديم نفسه ذكر في ترجمة ابن كلاب[2] مانصه : « قال ابو العباس البغوي دخلنا على فيثون النصراني وكان في دار الروم بالجانب الغربي فقال رحم الله عبد الله (يعني ابن كلاب) كان يجيء فيجلس الى تلك الزاوية وأشار الى ناحية من البيعة » . وعلى هذا فكانت دار الروم محلة ببغداد والبيعة هي بيعة النصارى في دار السلام لا كنيسة آجيا صوفيا .

رابعها — انه لو كانت دار الروم القسطنطينية لكان الذي أنفذ الراهب والأنامي معه البطريرك وهو أعلى سلطة دينية في البلاد لا الجاثليق الذي هو دون البطريرك لان كرسي البطريرك في القسطنطينية وكرسي الجاثليق في بغداد الذي هو زعيم النصارى في بلاد الاسلام .

قال البيروني في كتابه[3] : « فالوليقا وهو الجاثليق ومقام جاثليق الملكانية من بلاد الاسلام بمدينة السلام وهو من تحت يد بطريرك أنطاكية فأما جاثليق النسطورية فيكون من عند امير المؤمنين على رضى من جمهورهم » . اما القلقشندي[4] فقال ان درجات النصارى الدينية ثمانية سادسها الجاثليق (بالثاء والثـاء) « وهو عندهم صاحب الصلاة » وذكر هيستنكز ان هذا اللقب « لم يكن معروفاً عند غير الأرمن واليعاقبة والنساطرة » واول جاثليق للنساطرة في بغداد كان ثيموسيوس وكان صديقاً للمهدي وهارون الرشيد . وقد نشرت مجلة جمعية المستشرقين الجرمانيـة نسخة عهد صادر من امير المؤمنين الى جاثليق النساطرة ببغداد في القرن الثالث عشر للميلاد جاء فيها : « ولما انتهت حالك الى امير المؤمنين وأنك أمثل اهل ملتك طريقةً وأقربهم الى الصلاح مذهباً وخليقةً ... اتفقوا باجتماع من آرائهم والتئام من قلوبهم وأهوائهم على اختيـارك لرياسة دينهم ... فأوعز باسعافهم فيما سألوه بالايجاب ... وبرز الاذن الامامي الأشرف — لازالت أوامره بالتوفيق معضودة —

(١) تجارب الامم لابن مسكويه ج٦ ص٢٣٩ ، مصر . (٢) ص ٢٢٥ .
(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية طبعة ساخاو سنة ١٩٢٣ ص ٢٨٩ .
(٤) صبح الاعشى ، القلقشندي ج٥ ص٤٧٤ المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩١٥ .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام ومن تضمه ديار الاسلام وزعيماً لهم ولمن عداهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد وكل حاضر من هذه الطوائف وباد » .

خامسها — انه لم يهتم بالارساليات التبشيرية من المسيحيين في ايام ابن النديم وقبله بثلاثة قرون تقريباً غير النساطرة الذين يرأسهم الجاثليق وقد قص علينا الرحالة ماركو پولو بانه وجد في سوقطرة[1] مسيحيين خاضعين لا للبابا بل لمن دعاه خطأ « بطريرك بغداد » بدلاً من جاثليق بغداد . ولسنا نعرف تاريخ اول ارسالية نسطورية قصدت الصين للتبشير ولكننا نعلم يقيناً انه في القرن الثامن للميلاد بعث (سلابسكا[2]) الاول النسطوري بمطران الى الصين[3] .

وهل بعد كل هذا يمكننا ان نقول — اعتماداً على عبارة ابن النديم — ان مؤلفنا هبط القسطنطينية — اللهم لا !

وأعود الآن الى ما كنا بصدده من البحث في حياة ابن النديم : فنلتمس سيرة ابيه فنجده — كما يتضح من المقالات الثلاث الاخيرة — ورّاقاً . ولسنا ندري أكان النديم لقبه او لقب ابيه او احد اجداده الاقدمين . وهو في كتابه ذكر تراجم طائفة من الندماء فبدأ باسحق بن ابراهيم الموصلي وانتهى بالآمدي ، لكنه لم يودع كتابته شيئاً يمكن ان نستنتج منه انه كانت تربطه صلة قرابة باحد هؤلاء الندماء ، ولذلك فاني أرجح ان (النديم) كان لقباً له ، ويزيد ثقتي بهذا الترجيح ان ابن النديم عاصر عضد الدولة بن بويه وهو الذي « احيا العلوم وكانت مواتا وجمع اهلها وكانوا اشتاتا[4] » بل انه كان فوق ذلك « فاضلاً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون[5] » ولا يستبعد ابداً ان يكون مؤلفنا احد ندماء هذا

---

(١) جزيرة لناوح عدن من الجنوب (ياقوت : معجم البلدان) .
(٢) Slibàzka ومعناه « المصلوب النصر (كذا) » .
(٣) Assemani - Bibl. Orient, p.p. 414 - 434
(٤) تجارب الامم لابن مسكويه ، ج ٦ ص ٤٠٨ .
(٥) ابن خلكان ، ج ١ ص ٤١٦ بولاق .

السلطان المظيم او من رجال خاصته[١] .

ومها يكن من امر فالذي نعتقده ان ابن النديم كان من أفاضل رواة العلم ويصح ان يقال انه كان كاتباً — ورّاقاً — اذ يتعذر على غير ورّاقي ذاك الزمن ان تحيط دائرة معارفهم بكل ماأورده مؤلفنا في فهرسته من ذكر مؤلفين ومؤلفات . فهو ترجم مشاهير الشعراء وخاملي الذكر ، واهتم باخبار الندماء والجلساء والمغنين والمضحكين وذكر اسماء كتبهم بالتفصيل ووصف أحوال المعزّمين والمشعبذين والسحرة واصحاب الحيل والحركات وذكر كثيراً من الخرافات واهتم بعلوم الدين وأخبار الملوك والكتاب والمترسلين وشرح تعاليم مختلف الملل والنحل . أضف الى هذا انه عدد من الكتب والاسفار وذكر اوراقها وصفحاتها واسطرها مما لم يتسن لغيره ممن سبقه اوعاصره ان يعدد ذلك .

ثم ضمّن كتابه تراجم ورّاقين كثيرين منهم فيلسوف اليعقوبية يحيى بن عدي قال : « قال لي يوماً وقد عاتبته على كثرة نسخه من اي شيء تعجب في هذا الوقت ? من صبري . وقد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما الى ملوك الاطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ولعهدي بنفسي وانا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقل » . ومن هذا يستدل على انه كان يخالط طبقة من الناس لا يختلط بها الا ورّاقو ذلك العصر .

وانك لتلمس خبرته بمهنة الوراقة حين يحدث اليك عن نعوت اقلام الائمة وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها . وحين يعدد لك اسماء مذهّبي المصاحف ومجلديها ، ومثل هذه الملاحظات الدقيقة التي لا يسترعيها انتباه من لم يمارس الوراقة . والظاهر من مطابقة أشكال الخطوط التي اوردها في مؤلفه للخطوط التي رسمها ابن وحشية في كتابه[٢] ان ابن النديم استقى شيئاً كثيراً من هذا المؤلف الثمين مما يتعلق بالخط واشكاله . وحسبك ان

(١) وذكر ابن مسكويه ايضاً ، ج٦ ص٤٠٨ مانصه : « وأفرد (عضدالدولة) لاهل خصوصه من الحكماء والفلاسفة موضعاً يقرب من مجلسه وهوالحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تصل بهم » .

(٢) شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام تحقيق هامر سنة ١٨٠٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقابل ماجاء في صحائف ٩٢—١٣٤ من (رموز) ابن وحشية مع المقالة التاسعة لابن النديم لتحقق ذلك . ولم يُخف ابن النديم مانقله وانما قال حين روى بعضه : « قرأت في بعض الكتب القديمة » وقال في الآخر : « قرأت في بعض التواريخ القديمة » .

والذي امتاز به مؤلفنا عن غيره تسامحه المذهبي ، فهو مع كونه شيعياً انصف اهل السنة وغيرهم من الفرق الاسلامية فذكر ماذكر عنهم باسناده لى قائليه حتى انه حين ترجم حياة ابي عمر الزاهد قال : « وسمعت جماعة من العلماء يضعّفون حكايته وانتسبوا به الى التزيد وكان نهاية في النصب والميل على علي عليه السلام ... وتوفي سنة خمس واربعين وثلاثمائة وسنّه ثمانون سنة ، لقاه الله عمله » . وهذا منتهى التعنف في الدعاء على الخصم ومنتهى التسامح المذهبي الذي لانجده الا عندجهابذة المفكرين وفطاحل العلماء الافذاذ .

اما نظره في المذاهب غير الاسلامية التي يذكرها في المقالة التاسعة من الكتاب ، فقد جهر برأيه في هذا الباب الى حدٍ قلّ من جاراه فيه من المؤلفين القدماء . والفن الاول من هذه المقالة « يحتوي على وصف مذاهب الحرّانية الكلدانيين المعروفين بالصابئة » (وهم الذين انتحلوا اسم الصابئة تقيّة كي ينجوا به ويتخلصوا من القتل بعد ان انكر المأمون عليهم لبس الأقبية وأحلّ دماءهم يوم رحل يريد بلد الروم فأفتاهم فقيه ان يقولوا نحن الصابئة الذين ورد ذكرهم في الكتاب) .

وقد ترجم ابن النديم حياة ابن وحشية الكلداني قال : « وكان يدّعي انه ساحر يعمل أعمال الطلسمات ويعمل الصنعة » ثم قال : « وقرأت نسخة هذه الأقلام بعينها في جملة أجزاء ... وربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها من الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي احدث اهلها العلم فلا نفهم — اللهم الا ان يكون الانسان عارفاً بتلك اللغة وهذا مرموز وربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي الى اللغة العربية فينبغي ان يتأمل ويجعل هذه الأقلام مثالاً لها ويرجع اليها ان شاء الله تعالى » . فانظر كيف انه احترم علم ابن وحشية واخذ عنه مع انه قال كان يدعى ساحر يعمل اعمال الطلسمات ويعمل اعمال الصنعة »

وذكر ابن النديم شيئاً كثيراً من مذهب المانوية ولم يُشر الى المصادر التي اخذ عنها والظاهر انه بنى اقواله في هذه المرة على ما كان يقوله له اتباع هذا المذهب في ايام معز الدولة (سنة ٣٣٦ — سنة ٣٥٦هـ) وقد ترجم حياة رئيسهم ابي علي رجاء بن يزدانبخت

قال : « قال له المأمون أسلم يايزدانبخت فلولا ما اعطيناك اياه من الأمان لكان لنا ولك شأن . فقال يزدانبخت : نصيحتك ياامير المؤمنين مسموعة وقولك مقبول ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم . فقال المأمون : اجل . وكان أنزله بناحية الحرم ووكل به حفظة خوفاً عليه من الغوغاء » . ولم يعلق ابن النديم على هذه الحادثة شيئاً بل استحسن صنعها من المأمون على مايظهر وعندما كان يذكر الملوك والرؤساء الذين كانوا يرمون بالزندقة كان لا يضيف اليهم كلمة تقريع اولوم . أليس هذا من تسامح ديني وسعة عقل ؟

اما أبحاث ابن النديم في الاديان القديمة فلا تزال حتى يومنا هذا مصدراً يقتبس منه علماء المشرقيات من مؤرخين وفلاسفة وهم يثقون بأقوال المؤلف ثقة تامة جعلت لكتابه بينهم مكاناً عليا .

وقبل ان أختم كلمتي هذه في ابن النديم وكتابه أذكر شيئاً عن الأسلوب الذي نهجه في جمع تأليفه فقد قال في كتابه : « اذا ذكرت من المصنفين المشهورين انساناً أتبعته بذكر من يقاربه و يشبهه وان تأخرت مدته عن مدة من أذكره بعده وهذه سبيلي في جمع الكتاب والله يعين بمنه وفضله » .

وقال في موضع آخر حين تحدث عن الامام الناصر للحق الحسن بن علي : « هذا ما رأيناه من كتبه وزعم بعض الزيدية ان له نحواً من مائة كتاب ولم نرها . فان رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها ان شاء الله تعالى » . وكذلك تراه في كل بحث طرقه يسند الروايات الى أصحابها وما رآه من التصانيف بقول رأيته وما سمع به يقول : « يقال كيت وكيت » ومن هذا نستنتج اموراً اربعة »

اولها — ان ابن النديم كان يجمع تراجم الذين يرغب في ذكرهم ويرتبها حسب الفنون لا حسب العصور .

ثانيها — ان غاية ابن النديم من تأليفه كانت خدمة العلم لانه سمح لغيره ان يضيف الى كتابه معلومات جديدة متى عثر عليها رغبة منه في إتمام الفائدة . واين من هذا قول الجاحظ[1] :

« خطر ببالنا كثرة العيابين من الجهال برب العالمين فلم نأمن ان يسرعوا بسفيه رأيهم

(١) مع العلم بان ابن النديم كان يروي واما الجاحظ فكان يرى آراء حاسمة تخشى ان يدس عليه ما ليس له .

وخفة احلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتحريفه عن مواضعه، ٠٠٠ وأحببنا ان نأخذ في ذلك بالحزم وان نحتاط منه لانفسنا ٠٠٠ ونبادر الى تفريق نسخة منها (من رسالة الشيعة) وتصييرها في ايدي الثقات والمستبصرين ٠٠٠ فان شيب به شوب يخالفه او أضيف اليه مالا يلائمه رجعنا الى النسخة المنصوبة ٠ ٠ واستعلينا بها على المبطلين[1] » ٠ بل واين منه مارواه ابن النديم نفسه في كتابه قال :

قال ابو عمر محمد بن عبد الواحد (الزاهد) هذه العرضة هي التي تفرد بها ابو اسحق الطبري آخر عرضة اسمعها بعده فمن روى عني في هذه النسخة هذه العرضة وحرفاً واحداً ليس من قولي فهو كذاب علي وهي من الساعة الى الساعة من قراءة ابي اسحق على سائر الناس وانا أسمعها حرفاً حرفاً » ٠ فأنت ترى الفرق البين بين نزعة ابن النديم العلمية ونزعة الآخرين المتشبعة بروح الأنانية ٠

ثالثها — ان ابن النديم نحا في جميع كتابه منحى العلماء المحققين فأعطى كل ذي حق حقه وأرجع الامور الى مصادرها ولم يبخس الناس اشياءهم بل تعمد الصدق فيما قال وروى ٠

رابعها — « انه لم يبرز في فن من الفنون او علم من العلوم سوى ترجمة الرجال باختصار واضافة مؤلفاتهم اليهم مع ملخص محتوياتها » وهذا عمل مفيد جداً ، ولكنني لا ادري لمَ أهمل ترجمته المؤلفون والمؤرخون ؟ ألضعة نسبه ؟ اولضيق يده ؟ او لاحتباس شهرته في عصره او لسوء حظه ؟ او ان ترجمته دونت فلم تصل الينا ؟ وهذا هو الأرجح ٠

وبعد فكتاب الفهرست ذخر العربي وأثر يشهد بما انتجته عقولهم ، واعتقد انه يجب على كل من يُعنى بالعرب واخبارهم وعلومهم وفلسفتهم ان يرجع اليه فيأخذ منه بعض حاجته من علم وفن ادب ٠

بيت المقدس : محمد يونس الحسيني

---

(١) ص ١٨٩ مجموعة رسائل الجاحظ — مطبعة التقدم — مصر ٠

الغلاظة في اللغة

-٦-

(تابع لوصف الارض) — الجَرَع والجَرْعة والجَرَعة والأجْرَع ، الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل وكذلك الجَرْعاء · والأرْسان من الارض ، الحزنة · والركساء ، الارض الغليظة المرتفعة · والجَمَد ، مكان الحزن · والحزباءة ، الارض الغليظة الشديدة الحزنة — ومكان غليظ مرتفع · والصُوَّة ، ماغلظ وارتفع من الارض ولم يبلغ ان يكون جبلاً · والحَزِيز ما غلظ وصلب من الارض مع اشراف قليل ج حُزّان قال كعب ابن زهير :

ترمي الغيوب بعيني مفرد لَهَق ... اذا توقدت الحُزّان والميل

والكندرة ، ماغلظ من الارض وارتفع · والحَلَأ ، موضع غليظ مرتفع عن السيل ج حلاء · والواعر والوَعْر المكان الحزن ومثله الوعير والأوعر · والجُوَّة ، قطعة من الارض فيها غلظ · والثُرْس من جلد الارض ، الغليظ منها · والحَزْم ، ما غلظ من الارض وكثرت حجارته وكانت أغلظ وأخشن من حجارة الاكمة غيران ظهره عريض طويل · والحَوْمانة ، المكان الغليظ المنقاد ج حَوْمان وحوامين · والزَيْزي والزَيزاء والزلزبة ، ماغلظ من الارض ومثله الحُرْشُف والحَرْشفة · والخشباء الارض الغليظة الشديدة بها حجارة وحصى وطين · والخرشاف والخرشفة ، الارض الغليظة من الكذان لايستطاع ان يمشى فيها وانما هي كالاضراس · والخرشمة الارض الغليظة الصلبة · والدَكْدَك والدَكْداك ارض فيها غلظ سُئل جرير بن عبدالله عن منزله فقال : « سهل ودكداك وسَلَم وأراك » والقَرْز ، الغليظ من الارض · والشَأز والشَئِز المكان الشديد الغليظ · والصبّارة ، الارض الغليظة المشرفة لاتنبت شيئاً · والقَدم

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

والقدَمة ، ماغلظ من الحرة . والضارب ، القطعة من الارض الغليظة تستطيل في السهل . والخطائط ، طرائق تفارق الشقائق في غلظها ولينها . والأبس ، المكان الغليظ الخشن . والجذربة ، القطعة الغليظة من الارض . والصيلداء والصيلداءة ، الارض الغليظة الصلبة . والصلداء والصلداءة ، الغليظة الشديدة . والصدقة ماغلظ من الحرة . والنشز لمكان الغليظ الشديد . والكاندى القطعة الغليظة من الارض من غير حصى . والقضقضة قطعة من الارض تغلظ وتحدودب وتطول قليلاً . والكدية الغليظة الصلبة ج كُدى . السنبك الغليظة القليلة الخير . والجدد الغليظة الصلبة – والمستوية . والقرو التي لا تكاد تقطع . والأحزم الغليظ من الارض . والضمرزة الحرة الغليظة التي لا تُسلك بالليل . والضمز المكان الغليظ . والعِذار غلظ من الارض يعترض في فضاء واسع . والارض الظلفة والظلفة الغليظة التي لا تؤدي اثراً وقد ظلفت الارض اي كانت ظلفة . والعكوك المكان الغليظ الصلب . ومثله القدقد . والحزين الحزن .

(الغليظة) والعكباء الجافية الخلق . والعبلة الغليظة . والضمرز المرأة الغليظة ومثله الضمرزة . والشثلة والشثلة من الاقدام . والشفة القلفة والحلقاء الكاثمة والكثمة والاثان الكُدرة والنجمة الكدرمة . وقالوا عصاة قرشيار غليظة كالخشبة . وامرأة مُكَمْكَمة غليظة كثيرة اللحم . ودحولة ضخمة غليظة . وجبلة غليظة عظيمة الخلق . والصلابة شريجة خشنة غليظة من القف . والجلذية من الفراسن ، الغليظة الوكيعة . والعركة والعركانية الغليظة .

(القصير ايضاً) والكنادر الغليظ القصير مع شدة ويوصف به الغليظ من حمر الوحش كقوله : كأن تحتي كُنْدراً كنادراً . والثُرور الرجل الغليظ القصير ومثله حمار تجامد وحُمامي . والجيذر القصير الغليظ من الرجال الشثن الأطراف وهي بهاء ومثله المجذر .

(الزنجي او الاحمر) والعُبْلي الزنجي الغليظ . والقراص الغليظ الاحمر .

(الضخم) والعتيل الغليظ الضخم ومثله الكنهدل والمنسد والعوزيز والجعبس والجُخادب والجخادبي والجخادباء (من الرجال والحمر) والضمدة يقال عبد ضمدة . والدعكس والجردحل (من البشر) .

(الكثير اللحم) والعُدُبُ الغليظ الكثير العضل . ورجل معذَّر غليظ كثير اللحم . ومثله البلخص . والدُّلاتل التارُّ الغليظ .

(شق) والغضفر والغضنفر الجافي الغليظ . ومثله الخضيجم والحُضايم والفحل الفُمارز والاعرابي الجليف والجلف واصله من اجلاف الشاة وهي المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن اي ان جوفه هواء لاعقل فيه . والدُّحامل الغليظ المكتنز . والدُّخَّل الغليظ الجسم لتداخله . والهَرِش المائق الجافي . والعُجْرُم والعُجارم الشديد الغليظ المعقد . والقنوَّر الفظ الغليظ . والكَنَهْدر الغليظ من حمر الوحش والبُهْصُل الغليظ الجسم . والجرَنْبذ الغليظ الثقيل . والحَرْكك الغليظ القوي . والدُّماحل الدحامل . والحَزْوَر المكان الغليظ . وقدح مُكَدَّم زجاجه غليظ . ورُبٌّ عقيد غليظ شديد وقدح خاظٍ حادر صلب . واسد شرنبث غليظ ومثله حمار كُدُرٌ ورجل جَرْعب . وسقاء جارن قد يبس وغلظ من العمل . وحَبْنس جعْد غليظ غير سبط . والجلْوَذ الغليظ الشديد ومثله الكَنَهْدر . والهِلْدرم اللبد الجافي الغليظ .

وقالوا هو مستعلج الخلق اي غليظ جاف . وطعنه في مستغلظ ذراعه اي حيث غلظت ذراعه . وهؤلاء قوم غلاظ الرقاب اي اجلاف عتاة . والحادر الغليظ من الرماح والعُسْقُد التار الجافي الخلق . والقفنْ الجلف الجافي . والأنْخ الجافي الغليظ . والعيجبوس ، الرجل الاهوج الجافي . والعَشْوَز والعَشَوْز الشديد الخلق الغليظ . والفرافص السبع الغليظ . والفُرْنيُّ الرجل الغليظ . والضَّخْمُ ما كان غليظاً كالخلوق والغالية . وخبز فَدْم غليظ ومثله رجل أَصْقَعْص وأَصْقَعْصة . ويقولون هذا سقاء لا يستوكي ولا يستكتب اذا كان فمه غليظ الاديم . والاوشاز من الامور الغلاظ منها .

(النبك) : سالم خليل رزق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وافكار

—«»—

مطالعات ومراجعات

— في اللغة والأدب والتشريع والتاريخ —

قرأت في ص٣٨ من مجلد هذه السنة من مجلة المجمع « وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال ، ويسبق الظلام ٠٠٠ » أذكر انني كنت قرأت مثل هذه العبارة في رسالة الانتقاد لابن شرف القيرواني التي نشرت في جملة رسائل البلغاء وانه ورد فيها «الظليم» مكان «الظلام» وهو الصواب لأن الظليم هو المعروف والموصوف عند العرب بسرعة الجري ولا مفهوم لسبق الفرس الظلام[1] ٠ جاء في حديث احدى الجواري الخمس اللاتي نعتن خيلاً بآبائهن ورواه القالي في اماليه قول احداهن : « ان أقبل فظبيٌ معاجٌ وان أدبر فظليم هداجٌ ، وان أحضر فعلج هراجٌ ٠٠٠ » قال أستاذنا الامام الألوسي عليه رحمة الله في بلوغ الأرب معلقاً عليه : « معناه انه سريع الجري في كل حال من الأحوال الثلاثة ، فهو كالظبي المسرع اذا أقبل ، وكالظليم اذا أدبر ، وكحمار الوحش اذا أحضر ٠٠٠ والظليم ولد النعام وهو يوصف بسرعة المشي الخ » ٠ وأحسب ان في تفسيره الظليم بولد النعام تحريفاً صوابه ذكر النعام ، والنعام مشهور بالخفة وشدة الحذر وسرعة الجري عند العرب ٠ ومن مأثور الحوالم « ركب جنح نعامة » يضربونه مثلاً لمن جدّ في امر كانهزام اوغيره ٠ قال يزيد بن قنافة من شعراء حماسة ابي تمام :

لعمري وما عمري عليَّ بهين ... لبئس الفتى المدعوُّ بالليل حاتمُ
غداةَ اتى كالثور أحرج فاتقي ... بجبهته أقتاله وهو قائمُ
كأن بصحراء المُرَيْط نعامةً ... تبادرها جنحَ الظلام نعائمُ

---

(١) «الجمع» والظلام وجه وجيه بدليل قول النابغة :

وانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع

أعارتك رجليها وماليَ لبها وقدجُرّدت بيض المتون صوارمُ

وقال احدهم يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

جزى الله خيراً من امام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزّق

فمن يسعَ او يركب جناحي نعامةٍ ليدرك ما قدمت بالامس يسبق

وفي ص ٤١ رأيت الكاتب وهو في سبيل البحث عن حياة الألفاظ ، يتسامح في استعمال ما لاحاجة بنا اليه من اللفظ الدخيل . فقد وجد في (الاكاديمية) لذةً فرددها ثلاث مرات في بضعة اسطر متقاربات ، وفي (المجمع) الذي ساغته الالسنة وسالت به الأقلام ودرج عليه الاصطلاح غنى عن (الاكاديمية) فلِمَ الاكاديمية ولِمَ المجمع . وارجو ان لا يأسف الكاتب العربي على ذلك أسف الكاتب الفرنسي صاحب مقالة الطان على كلمة (Midinettes) التي اطرحتها (الاكاديمية الفرنسية) فانه انما أسف لانها استغنت عما لاغنى للغة الفرنسية عنه ، وليس شأننا ازاء (الاكاديمية) كذلك .

واستعمل كلمة (الاوبرا) الدخيلة التي زعم من زعم انها عربية الاصل منقولة عن ابي العبر ، ماجن خليع ، نقلها الايطاليون عن العرب ايام احتكاك العنصرين بعضها ببعض فحرفوها الى اوبرا ، وانما جهلنا ذلك فحسبناها دخيلة وهي اصيلة .

لا أريد ان أناقش هذا النوع من الضرب بالرمل او الطرق بالحصى وانما أريد ان أعذر مستعملها على كونها دخيلة في رأيي ورأي الاكثرية المطلقة من الباحثين حتى تقيم مقامها كلمة مفردة من العربي الاصيل تؤدي المعنى الفرنجي احسن اداء فان البقاء على الاوبرا افضل من قبول العبرة التي يزعم اصالتها الوهم ولا يؤيده النص ولا المعنى الغنيّ الدقيق لهذه اللفظة في لغة القوم ، فما رأي الاكياس الألبّاء ؟

وفي ص ٥٣ ورد (حسن البزار) بالزاي والراء وانما هو البزّاز نسبةً الى البز ، وقد نظمه الكاتب في حلقة كاظم الأُزري والأُخرس والمشاري والحبوبي من فحول شعراء العراق في القرن الماضي وليس بذاك . ونظم معهم ايضاً اسم السيد حسن الداوودي ولست أعرفه بل لم أسمع باسمه الا من طريقه فهل له ان يتفضل علينا بترجمته ؟

ووصف احد اعضاء المجمع نادرة دواوين اللغة «المقاييس» ٦٥ — ٧١ ، وقد وصفه قبله كاتب نجفي متنكر في المجلد الثاني من مجلة لغة العرب لسنة ١٣٣٠ ه ولكنه لم يذكر

اسم مالك النسخة ، وأرجح انها نسخة آل كاشف الغطاء التي أشير اليهـا ولعل واصفها مالكها ٠ وقد قال في جملة كلامه (طولها ٣٦ سنتيمتراً وعرضها ١٩ وطول المكتوب منه ٢٥ وعرضه ١٤ وفي كل صفحة ٢١ سطراً ٠ وعدد اوراقها ٤٩٧ ٠ وقد خرقتها الأرضة ولكن لم تؤثر في نفس الكتابة كثيراً والظاهر ان في حبرها شيئاً لاتستطيع الارضة اكله وهي كثيرة الغلط لاينتفع بها الا من مارس هـذا الفن واخذ باطرافه ٠ وكاتبها لم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها الا ان المتدبر العارف بتاريخ الخط العربي يحكم بانهـا كتبت بعد الألف وهي بخط واحد ٠٠٠) ومهما يكن من امر هذه النسخة فان مقابلة نسخة المجمع العلمي العربي بها اذا تيسرت لا تخلو من فائدة ٠٠٠

و في ص ٧٤ (الخلفاء اللامعين) ولعل الكاتب الفرنسي أراد — بحسب الظاهر — (الخلفاء الأموِيين) فحرفتهـا الترجمة ، والا فاهو معنى الخلفـاء اللامعين ٠ فهل اراد الخلفاء الراشدين فوصفهم باللمعان لحسن سيرتهم ؟ وعلى كل فان في التعبير غموضاً يحتاج الى ايضاح ٠

وفي ص ٨١ (ورَّاق بغداد) وزيادة الالف بعد واو الجماعة في الاسم المضاف خطأ ٠ وفي ١٣٠ (الشيخ محمد محمود الدكري) والصواب التركزي ٠

وفي١٣٨و١٤٠ استعمال فعل وفق متعدياً بالى تارةً وباللام أخرى ، وميل الكتاب اليوم الى الاول اكثر بل قل من رأيته يعديه باللام ، والذي اعلمه ان الثـاني هو الصحيح وان قيل ان حروف الجرّ يقوم بعضها مقام بعض ٠ الي لأطأطئ الرأس لعلامة الفقيد الاكبر صديقنـا احمد تيمور باشا ولكنني مستفهم مستفيد ٠ وقد رأيته كذلك يستعمل فعل راق متعدياً باللام (ص١٤٣و١٤٤) وهو انما يتعدى بنفسه ، اما تأولـ اقحام اللام فمتمحل لايعدو ان يكون من الخرفشة التي نعت بها ابن خلدون النحاة ، وقد اغنانا العلامة الامير شكيب أرسلان فيما كتبه في ابطال زيادة هذه اللام هنا عن تفصيل القول فليرجع اليه من شاء في مجلة المجمع العلمي م ٩ ص ٦٨ ٠

وقرظ احد الاعضاء كتاب المخارج في الحيل المنسوب للامام محمد والذي نشـره المستشـرق الالماني يوسف شخت (Joseph Schacht) (ص١٨٠ — ١٨٣) فكان جدّ موفق في نظرته الى الحيل التي تضاف الى الشرع الاسلامي وهو منها براء ولن يزال

المجمع العلمي بخير وهو يكِل الامور الى اربابها . وأحب ان ألفت الناشر وغيره من الذين لم يكتب لهم الوقوف التام على الثقة الثّبت من مراجع الاسلام الى مناقشات الامام ابن القيم لأصحاب الحيل في كتابه اعلام الموقعين فانها أوسع ما كتبه علماء الاسلام في إبطال الحيل تمتاز باسلوبها العلمي الدقيق وايراد الحيل واحدةً واحدةً ونقضها بالدليل النقلي والبرهان العقلي في أناة وهدوء وانسجام . وفي رأيي ان هذه الحيل من وضع الشعوبية الذين هاموا لهدم الاسلام في كل واد وتفذوا اليه من كل سبيل ، ولا اكثر شراً على الاسلام من فتح هذه الثغرة التي فتحوها ووقع ايها من وقع من بسطاء المتفقهة . ألفت نظر الناشر وغيره الى كتاب الامام ابن القيم وأربد العلامة المغربي على ان يوافقني على ان تسميته الامام محمد كتابه - اذا صحت نسبته اليه — (كتاب المخارج في الحيل) ليست من الاحسان في شيء لان علينا أن نلاحظ المسمى قبل اسمه ونتزه الحق من الباطل ولو مسّه الباطل اسماً او وهماً وخيالاً ، اما قوله « لو سماه كتاب المخارج في المخارج اي في المضايق والمآزق لكان أكثر احساناً لعمري » فاني لخجل جداً ان اقول في التعليق عليه : ان اصحاب الحيل لما رأوا نفرة الناس من اسم الحيل سموه (وجوه المخارج من المضايق) — انظر اعلام الموقعين م ٣ ص ١٥٧ ط ١ — .

وفي ص ٢٠٢ (وهو كناني : قيل صليبه ، وقيل مولى) هكذا ورد صليبه بالباء الموحدة فالياء المثناة ، ومثله في ترجمة الجاحظ التي نشرها المستشرق ف . كرنكو في مجلة المجمع العلمي العربي م٩ ص٢٠٣—٢١٧ نقلاً عن تاريخ ابن عساكر من نسخة المتحف البريطاني . وهو تحريف عن صليبة بتقديم المثناة على الموحدة كما ترد كثيراً في كتب الانساب والتراجم وصفاً للرجل الذي كان عربياً نسباً لا ولاء ولاحقاً ، وان شئت راجعتها في الاغاني في نسب الحزين ووالبة بن الحباب ومحمد بن وهيب ومحمد بن ذؤيب وغيرهم . ومن الغريب ان هذه الكلمة على شيوعها في كتب الانساب والتراجم لم تأت في كتب اللغة وصفاً للمذكر بحرف التأنيث ، وانما قالوا : رجل صليب وامرأة صليبة ، ففي اساس البلاغة « ومن المجاز عربي صليب : خالص النسب ، قال أمية : (ويعرفنا ذوراً بها وصليبها) وامرأة صليبة كريمة المنصب عريقة » اه .

وجاء في الكلام على الجاحظ ص٢٠٤ (وكان يقال له ايضاً الحاَدقي) والصواب الحدقي

كما في وفيات الأعيان م ١ ص٣٨٨ ومعجم الادباء م ٦ ص ٦٢ . ولعل الجاحظ هو الذي أطلق على نفسه هذا اللقب استدراكاً على غلط غلام عجمي حرفت رطانته الجاحظ الى الجاحد فقال له قل الحدقي فقال الحلقي سيف قصة ذكرها ياقوت الحموي البغدادي في معجم الادباء وهي : ان الجاحظ صار الى منزل بعض إخوانه ، فاستأذن عليه ، فخرج اليه غلام عجمي فقال : من انت ؟ قال : الجاحظ . فدخل الى صاحب الدار فقال : الجاحد على الباب ، وسمعها الجاحظ فقال صاحب الدار للغلام : أخرُج فانظر من الرجل ؟ فخرج يستخبر عن اسمه ، فقال : انا الحدقي ، فدخل الغلام فقال : الحلقي ! وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب : رُدَّنا الى الاول ! يريد ان قوله الجاحد مكان الجاحظ اسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي ، فعرفه الرجل فأوصله واعتذر اليه .

وفي ص ٢٠٦ (كتاب الزرع والنخل) وكذلك ورد في معجم الادباء ، ولعل الاصل «النخل» مكان «النحل» .

وفي ص ٢٠٧ المزوءُ ، وصوابه المزء اذا سكن الزاي ، والمزؤ بوضع الهمزة فوق الواو اذا ضم الزاي .

وفي ص٢٠٨ (... فقال الجاحظ : سألتني عن الجلة ...) وذلك في جواب رجل دخل عليه فقال له : يا اباعثمان كيف حالك ؟ وقد نبه الكاتب الى ان الاصل الذي اخذه منه «الجلة» وسيف نسخة أخرى «الحلة» مكان «الجلة» . ورأيت مجلة المجمع العلمي م ٩ ص٧ ٢ تقول سيف التعليق عليه (ولعل صوابه : عن الحالة) فاجتمع عندنا اربع روايات وآراء في الكلمة : الجملة ، والجلة ، والحلة ، والحالة . واني أوافق الكاتب على تصحيحه لأن سياق الكلام يؤيده وذلك بقوله بعدُ (فاسمعها مني واحداً واحداً ...) فالسائل يسأل الجاحظ عن حاله جملةً والجاحظ يريد ان يسمعه اياها واحداً واحداً تفصيلاً ، فهل يصح في هذا الموضع غير كلمة الجملة ؟

وفي ص ٢٠٥ كتابة الرئاسة بالهمز تارةً وبالياء أخرى ، فأيها الصحيح اوالاصح ؟ اما الكتّاب —اليوم— فيميلون في الاكثر الى الثاني ، واني أصححه بالهمز لانه الأصل في الكلمة فلاوجه لهذا القلب .

وجاء سيف ص٢٠٩ (... ولكن الايام لاتصلح منك لفساد طويتك ...) وعلق

عليها في الهامش ما يأتي : (في الاصل : لاتصلح منك الأ لفساد طويتك ... فأظن ان «الأ» زائدة فلا محل لها) . قلت : الذي أراه ولا أكاد أتردد فيه ان « الا » هنا ليست باداة استثناء فتكون زائدة وانما هي «إلاًّ» بكسر الهمزة وتشديد اللام في موضع النصب على المفعولية ، ومعناها العهد والحلف ، و يؤيد هذا قول احمد بن ابي دواد للجاحظ الجيء به اليه مقيداً : « والله ماعلمتك الا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنيعة الخ ».

وفي ص ٢١٠ س ١ و ٢ (فوالله لئن يكون لك الامر ... ولئن أمسِ) والصواب في الجملتين لأن . وفيها في س ٤ أما قلبك والصواب أمام قلبك ، وهو من غلط الطبع .

وفي ص ٢١٧ يذهب الكاتب الى ان الجاحظ الف كتابه الحيوان وهو مبتلى بالفالج مستنداً الى كلام الجاحظ في اول كتابه هذا « وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الارادة فيه ، اول ذلك العلة الشديدة » وانا أستغرب كل الاستغراب ان تفسر هذه العلة الشديدة بالفالج دون غيره فان الفالج — كما شاهدناه — داء اذا أصاب الانسان عطل جسده نصفه او كله ، وأحال فكره ، وأبطل عمله . و يغلب عليه ان يرافق المبتلى به الى لحده ، لذلك أرى ان الجاحظ ألف هذا الكتاب الجليل قبل ان يبلى بالفالج وان هذه العلة التي يذكرها مرض عرض له في اثناء كتابته ثم زال وبرئ واستمر يؤلفه حتى وفق لاكماله ، والا فليرشدني الاستاذ الكاتب كيف يستطيع ان يؤلف مثل هذا الكتاب بل دونه بكثير « من نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر به ، ونصفه الآخر منقرس لوطار الذباب بقربه لآلمه ، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة هو فيها » كما قال الجاحظ عن نفسه رحمه الله فما حدث المبرّد ؟! ودليل آخر نتيجته مبنية على مقدمات تاريخية نقلها الكاتب نفسه في محاضرته ، وهو ان الجاحظ الف كتاب الحيوان هذا لمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم فأعطاه خمسة آلاف دينار ، ومحمد هذا توفي سنة ٢٣٣ هـ ووفاة الجاحظ كانت سنة ٢٥٥ هـ ؛ فبين موتهما اثنتان وعشرون سنة ، اذا أضفنا اليها ثلاث سنوات صلحها في التأليف على اقل تقدير ، وذلك قبل موت الوزير صاحبه طبعاً ، حصل عندنا تمام ربع القرن . والاستاذ مؤمن بان الجاحظ يوم قبض المتوكل على محمد ابن عبد الملك الزيات والقاه في التنور خاف ان يكون فيه ثاني اثنين ، لأنه كان صاحب محمد وصديقه ، ولأنه كان منحرفاً عن احمد بن ابي دواد للعداوة بين محمد واحمد واحمد

هذا هوالذي أغرى المتوكل بابن الزيات فذر على وجهه لئلا يلحقه منه مالحق صاحبه الوزير الا انه لم ينج منه بل قبض عليه فجيء به الى احمد بن ابي دواد فلما نظر اليه قال : والله ماعلمتك إلا متناسياً للنعمة ... فاستملأه الجاحظ بتزويق كلامه حتى أمر بفك القيود عنه وأمر بان يصار به الى الحمام ويماط عنه الأذى ويحمل اليه تخت ثياب وطويلة وخف ، فلبس ذلك ثم أتاه فتصدر في مجلسه ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا ابا عثمان في قصة طويلة نقلها الكاتب في محاضرته عن معجم الادباء ... فهل كان كل ذلك — وكل ذلك كان بعد تأليف كتاب الحيوان ولا شك ! — والجاحظ مفلوج « ليس بطائل ، ذو شق مائل ، ولعاب سائل الخ » ؟! .

ورأيت في المجلة عدا ماتقدم أشياء أخرى ، منها في ص٢٢٧ س ٦ (عرى) جمع عروة والاصح[1] كتابتها بالالف لان أصلها واو ، وفيها في س١٩ (يتوءدة) بالهمزة فوق الواو ويجب(؟) ان تكون منفردة قائمة بنفسها . وفي ص٢٣٦ ولا يمكن مؤرخاً ان ينسى الخ . ولعل الاصح ان يقال : ولا يسع مؤرخاً ان ينسى وصاحب المقال من الذين يتقيلون الفصيح . وفي ص٢٣٧ س١٣ أرى الارض تطوى الي — والصواب تطوى لي . وورد في كلمتنا عن كتاب واسطة السلوك من أغلاط الطبع ص٢٤٩ اما الطبعة التونسية وهي والصواب فهي . وفيها ايضاً س ٣٦ سطر صوابه سطراً . وفي ص٢٥٠ س١٤ وانما هو موسى والاصل : وأنه هو موسى . وفيها س ١٦ موسى بن حمو — والاصل موسى أبو حمو .

والنيت أحد الاعضاء في ١٨٣ يستعمل المديون بدل المدين ، وعهدي به أنه جد حريص على اتباع القياس لايميل الى مافيه تجوز وتسامح ، وفي الطرة على الدرة للحريري والألوسي بحث في هذا نغني الاشارة اليه عن نقله ، فليراجع في ص ٣٨٥ .

بغداد : محمد بهجة الاثري

---

(١) «المجمع» بل الاصح ان تكتب بالواو بناء على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضحى والخُطى .

المحكمة (١)

« كلمة غير قاموسية »

من الغريب ان كتب اللغة التي بين ايدينا لم تذكر كلمة (مَحْكَمَة) بفتح الميم وتخفيف الكاف في مادة (حكم) ، مع اننا نستعملها اليوم كثيراً ونريد بها المكان الذي يجتمع فيه القضاة للحكم بين الناس ، فهي إذن كلمة دخيلة غير قاموسية ،

ولعل الذين أدخلوها في اللغة أرادوا بها تأنيث (المحكَم) اسم مكان بمعنى (مكان الحكم) ثم توسعوا بها فاستعملوها في الحكام أنفسهم ، وذلك مذ نقول : «حكمت المحكمة على فلان » فقد نسبنا الحكم الى المحل ، والمراد الحال ، مجازاً كقولهم (جرى النهر) اي ماء النهر .

ويحتمل ان لا يكون المراد بالمحكمة مكان الحكم ولا الحكّام أنفسهم ، وانما المراد بها المصدر الميمي بمعنى الحكم (كالمضيعة) بمعنى الضياع والمتربة بمعنى الفقر فنكون أخذنا في لغة تخاطبنا من فعل حكَم مصدرية : «الحكومة » مريدين بها الهيأة التنفيذية التي تباشر الحكم الاداري في البلاد — و«المحكمة » مريدين بها الهيأة القضائية التي تباشر فصل الخصومات بين الناس ،

وقرأ بعض الاخوان بيتاً من الشعر للفرزدق جاءت فيه كلمة (محكة) لفظها (المحكمة) في اصطلاحنا اليوم ، وهو قوله من قصيدة يهجو بها احد بني باهلة :

(أباهلُ أيّ محكمةٍ أحلّت لكم أخواتكم تحت الثياب)

فظن لأول وهلة ان الفرزدق انما اراد بالمحكمة القضاة والحكام ، وقد اتفق ان سياق البيت يروّج ظنه ،

ولكننا استبعدنا ان يكون الفرزدق أراد هذا المعنى فراجعنا البيت المذكور في مظان وجوده ثم عثرنا عليه في كتاب (نقائض جرير والفرزدق) المطبوع في اوربا فاذا فيه كلمة (محكمة) مضبوطة بالشكل : بضم ميمها الاولى وفتح الكاف على صيغة اسم المفعول

(١) قرئت في إحدى جلسات المجمع ،

http://Archivebeta.Sakhrit.com

من (أحكم) الأمر اذا اتقنه . ومنه (آية مُحكَمة وآيات محكمات) وهي التي لا تحتاج الى تأويل لظهور معناها .

فلا جرم ان يكون هذا المعنى هو المراد من كلمة (محكمة) في شعر الفرزدق . كأنه يقول لباهلة : أية آية مُحكَمة من آيات القرآن أحلَّت لكم إتيانَ هذا المنكر .

فلا شاهد إذن في الشعر ودق كلمة (المَحْكَمَة) المفتوحة الميم دخيلةً في اللغة لا يعرفها أهل اللسان الأولون .

ويمكن ان يقال : إن (محكَمة) كما ننطقها اليوم محرفة عن كلمة (مُحْكِمة) بصيغة اسم الفاعل من فعل (أحكم) بمعنى أتقن لأن رجال المحكمة يُحكِمون أحكامهم ويتقنونها. فالمُحْكِمة جمع بمعنى (المُحْكِمِين) كما ان (المُسْلِمة) بمعنى (المسلمين) . ومنه قول الراجز في خبر فتح مكة :

(وفرَّ صفوان وفرَّ عكرمة وتبعتنا بالسيوف المسلمة) الخ

ويحتمل ان تكون (مُحكِمة) بصيغة اسم الفاعل مشتقة من (الإحكام) مصدر أحكم الفرس اذا جعل حَكَمة اللجام في فمه ليمنع جماحه . وهكذا المحاكم فانها تُحكِم الأشرار والمبطلين وتمنعهم من الظلم والفساد . على حد قول جرير :

(أبني حنيفة أحكِموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا)

والحاصل ان كلمة (مَحكَمة) من وضع او اشتقاق المولدين . واول من وضعها أراد بها اسم المكان مثل مدرسة ومصبغة — اوالمصدر الميمي مثل (مَضْيَعَة) و (متربة) او ان (مَحكَمة) محرفة عن (مُحْكِمة) بمعنى متقنة ومُجيدة .

« المغربي »

مطبوعات حديثة

ديوان رامي

«طُبع في مصر بمطبعة لوآد عدد صفحاته ٢٥٥»

هو مجموعة مانظمه صاحبه السيد احمد رامي المصري بين سنة ١٩١٦ وسنة ١٩٣٠ من أغزال ونسيب ومراثٍ وفي آخره طائفة من الاغاني العامية المصرية التي كانت تشدو بها المطربة الشهيرة السيدة أم كلثوم وتلقنها الى الآلة المعروفة بالحاكي فتذاع في جميع البلاد العربية بحيث أصبحت مستفيضة على أسلات ألسنة العوام والخواص في كل بلد وقطر وذلك من مثل الأنشودة التي اولها «ان كنت أسامح وأنسى الأسية» و«خايف يكوي حبك قلبي» و«خايف لتبرد نار حبي» فان الديوان مشحون بكثير من هذه (الطقاطيق) التي يقبل عليها الناس ساعات لهوهم فيسمعونها في المقاهي وحوانيت الباعة ويجدون في سماعها ارتياحاً وسلوى لانفسهم التي تساورها الهموم في الشطر الكبير من أعمارهم .

ومما تفرد به هذا الديوان عن سواه خلوّه من المطوّلات فان اكثره مقطوعات ابيات كلٌ منها دون العشرة واذا وجد فيه بعض القصائد فلا تتجاوز احداها العشرين وهو خالٍ من النثر حتى من البسملة والحمدلة والمقدمة واول مايستقبلك منه أبيات تشفّ عن اهدائه إياه الى من يهواه !! وهي هذه :

الى محراب افكاري ومهبط وحي اشعاري
الى القلب الذي حرّ ك بالاشجان أوتاري !!؟
الى جنة أحلامي الى نزهة أبصاري
الى الروح التي أحببت مني نفسي وأوطاري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الفجر الذي رصّـ ـع بالانداء نوّاري[1]
الى الطير الذي آ نس بالتغريد اسحاري
اقدّم كأس اشعاري واهدي غضّ ازهاري

وهذه الأبيات على غرابة أسلوبها وتغاليها في اظهار صاحبها مايجده من هيام وصبابة بالمهدى اليه تكاد لاتجد فيها من الرشاقة والحلاوة مايثير الاعجاب وغاية مايقال عنها انهـا تعمّد الايماء الى أنوثة المهدى اليه وتعبّد المهدي لحرابه وجنانه وجمال تغريده ولو كان ظاهر المراد يقتضي اللبس والابهام والتكتم .

والديوان في سائر مشتملاته سهل الالفاظ صحيح التراكيب مستقيم الأوزان فيه شيء من الطلاوة والرونق وان كانت ابتكاراته نادرة فهو من قبيل الكلام المنظوم فان النظام غير الشعر كالايخفى وان كان هو هو من حيث آداب اللغة والفنون التي يترتب على الشاعر الاحاطة بها والاشتمال عليها ، ومن مستملحات شعره قوله :

هيئوا لي من الشعاع خيوطاً اعتلي متنهـا الى الأجرام
ودعوني اخط في صفحة الدهـ ـر سطوراً أبقى من الاهرام

http://Archivebeta.Sakhrit

ومنها وهو بيت القصيد :

سكنت نأمتي وكان لقلبي رقصات تحكي حباب مدام

(ص٣٨و٣٩) ويعجبني البيت الاول والاخير من قوله :

أزن الحديث اقوله عند اللقا فيضيع عند تقابل النظرات
واعود بعد ترقبي القاعها والنفس ساهمة من الحسرات
فاقول ملتني وملت (خلّتي) والغدر طبع في هوى الفتيات
وأناصب النفس العداء لتنطوي ولربما يحيي علي ثباتي

(١) «النوّار» على وزن رمان «النور» وهو الزهر وقد جاءت في بيت من قصيدة قديمة للشاعر المعروف سليمان الصوله وهو قوله :

نبية معجزات الحسن في فمها فالماء والنار والنوّار في فيها

عاش سليمان في دمشق على عهد المغفور له الامير عبد القادر الجزائري وكان خاصّاً به واكثر مدائحه فيه ثم ارتحل في أخريات زمانه الى مصر ومات فيها في أوائل هذا القرن .

(ص٢٢١) ويستحسن بين مراثيه القليلة قوله في المرحوم محمد تيمور من قصيدة :

كيف أرثيك يارفيق شبابي ... يا نجيّي من زمرة الأحباب
أبدمعي؟ الدمع ارخص مابه ... بكي به صاحبٌ على الاصحاب
انتَ اولى بان يبأل مثوا ... ك بطلٍ من الفؤاد المذاب

فان البيت الاخير لا يخلو من رقة وشجن (ص١٣٦) • وجلّ مافي الديوان ينطوي على وقائع غرامية ومواقف شوق ووصل تدلّ على ان قبلة أغزاله واحدة، وانها من ذوات الشهرة في عالم الغناء والطرب ولذلك طاب الولوع بها والتمادي في حبها ولله في خلقه شؤون •

وللناظم في محمد عبد الوهاب المطرب المشهور خمسة ابيات وهي الى مطارحة الوجد اقرب منها الى المديح اولها :

هذه روحي انا : تصغي اليك ... وفؤادي خافقٌ بين يديك

وآخرها :

يحمل النفس الى دنيا المنى ... حيث يسري عنك ساجي ناظريك

وبالجملة والتفصيل فان الديوان تحفة جديرة بالاقتناء يستوجب ناظمه المدح وناشره الثناء •

« سليم عضوري »

البصريات الهندسية والطبيعية

« تأليف السيد مصطفى نظيف أستاذ الطبيعة بمدرسة المعلمين العليا بمصر »
« مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م »

تخطو الثقافة العلمية العربية في مصر والشام بخطوات واسعة هذه السنين الأخيرة • فقد لايمضي حين من الزمن الا وتُخرج فيه للعالم العربي اوراً جديداً يدل على حركة مستمرة واتجاه فكري مفيد • وعلى الرغم مما يعتور هذا الانتاج الجديد من نقص يعده محبو الطفرة عيباً مشيناً ينقص من فضل صاحبه • امانحن فلا يسعنا الا ان نرحب بهذا الانتاج لاننا نرى فيه الحجر الاساسي الذي سيقوم عليه بناء الثقافة العربية المنشود في المستقبل •

ومن الكتب العلمية النافعة التي وقفنا عليها اخيراً البصريات الهندسية والطبيعية للسيد مصطفى نظيف . فقد ألمّ فيه المؤلف بكل مايحتاج اليه الطالب في الجامعات من العلم في مبحث الضوء من الوجهة العلمية والعملية ، بعبارة فصيحة سهلة لا يضيرها ما يعتورها في قليل من المواضع من ركاكة او تعقيد في التركيب ناشئين عن حداثة العهد بالتأليف في الموضوعات العلمية الحديثة في اللغة العربية .

وفي الكتاب خطأ مطبعي لم يأت ذكره في باب تصحيح الخطأ ، من ذلك مافي ص ٧ س١ (تناسيا) والصواب تناسباً . وفي ص٣٦ س١ (على متداد) والصواب امتداد .

وقد جعل المؤلف في بعض المواضع الحروف الرمزية التي تقلل العبارة من شكل حروف كلمات العبارة مما يوقع في الاشكال احياناً . مثال ذلك ما جاء في ص٤٣ س١٢ « فاذا رسمنا من نقطة الشعاع او بحيث يكون اخ » فان حرفي (أ و) جاءا هنا كلمة تضلل القارئ زمناً عن المعنى المقصود .

وقد جاءت حروف القواعد والشروح واحدة في الكتاب مما يجعل مطالعته متعبة للنظر لا تستدعي استمرار الانتباه .

ويلي الكتاب ملحق بالاصطلاحات الانكليزية الواردة في الكتاب ومعانيها العربية مرتب على حروف المعجم الانكليزي وقد كان الأفضل جعلها على الحروف العربية لانها لغة الكتاب والقارئ يضطر لمراجعة مصطلحاته العربية ليعلم مدلولها الأجنبي فيلقى صعوبة كبرى في عمله هذا .

تلك نواقص لاتضير جوهر الكتاب وجودها ولكن اصلاحها يزيد في محاسنه فعسى ان يتلافاها المؤلف في المطبعة المقبلة .

اسعد الحكيم

دروس التاريخ القديم

للسيد محمد عزة دروزه أسلوب جميل في سرد التاريخ يقرّبه لفهم الدارسين بدرجات مستدرجة ، وله سلسلة دروس تاريخية خاصة بأبناء المدارس الابتدائية ودروس في فن التربية لقيت إقبالاً عظيماً في المدارس ، وقد رتبها بأساليب فنية جذابة تبعث في الأولاد ولعاً على قراءتها وحفظها .

ومن هذه الطبقة كتابه « دروس التاريخ القديم » فهو كتاب مدرسي جاء في مئتين وثمانٍ وثمانين صفحة . وقد زينه بكثير من الرسوم والخرائط مما يساعد على فهم الحوادث المسرودة وينقشها في مخيلة الدارس والمطالع ، وغذّاه بالقاصيص الخلاقية وادبية نثرها ملحاً بين سطور التاريخ تستريح اليها ذاكرة الدارس وتكشف له القناع الذي يغشي احياناً إدراك الوقائع فيما لو جاءت متتابعة مترابطة بلا اداة ربط . وقد جاء في آخر كتابه على ذكر المراجع التي اقتبس منها فاذا هي ثقة لا غبار عليها .

صوّر الانسان في كتابه هذا الى التلاميذ مذ كان صياداً متنقلاً يعيش عيش الوحوش ثم تدرّج به خطوة بعد خطوة مستقرياً اطواره وتطوّراته ، وازمانه واقتباساته ، ومعيشته واجتماعياته ، حتى بلغ به الى تأليف الدول القديمة فتكلم عن الاشور بين والكلدانيين والحثيين والفينيقيين والعبرانيين والفرس واليونانيين الى ان ختم كتابه بالدولة الرومانية وسقوطها في عهد هرقل آخر قياصرتها وصيرورة ملكها الى العرب الفاتحين .

ولم يكتف المؤلف بسوق حوادث الحروب وكبار الملوك والقوّاد وذكر الفتوحات وتغيير الدول بل اتى ايضاً على نقد الاسباب الاجتماعية التي ادّت الى تفوّق المنصورين على المقهورين ، والمّ بأهم ما يجدر ذكره إبّان كل حقبة من الدهر عن الاديان والقوانين والزراعة والعمران تتمة للفائدة .

عبد الله رعد

الشواذ

في علم النحو

عجالة أتعرض فيها لذكر شيء من شواذ علم النحو أقدمها كالنموذج لمن احب الاطلاع على ما في هذا الفن من الشواذ التي لو تعرضتُ لحصرها واستقصائها لملأتُ بسوادها بياض هذه المجلة بأسرها ·

واني أتمنى ان يتاح لي التصدي للالمام بما في معاجم اللغة من الكلمات الشاذة والألفاظ الوحشية المهجورة التي يمجها الذوق و يستثقلها اللسان فأجمع منها سفراً كبيراً أنفي فيه غثها عن سمينها وأنقي لبابها من قشورها التي يستغني عنها اللبيب استغناء الحي عن الميت ·

على ان عجالتي هذه لايعدم الناظر والناثر من ان يجني منها عدة فوائد :

١ — وقوفها على ما يجوز استعماله من الشواذ وما لا يجوز ليستعملان منهما في الاختيار وحين الاضطرار الجائز ويهملان الممتنع ·

٢ — اطلاعهما على بعض اشعار غريبة في لغتها وتركيبها مما لا ينبغي لهما الاطلاع عليه الا بعد عناء طويل يصرفانه في تتبع كتب الأدب ودواوين العرب ·

٣ — استفادة المتأدب بعض أحكام وقواعد في فن النحو بعبارة بسيطة وأسلوب سهل يغنيانه في تتبعها عن مراجعة المطولات من كتب هذا الفن ·

٤ — اطلاع الأديب على ما في هذه المقالة من الأشعار التي يصلح الكثير منها لأن يكون مثلاً سائراً يذخره الأديب في حافظته فيورده في محاضراته وكتاباته حين الحاجة اليه ·

وقد أعرضت عن شرح ما أوردته من الشعر روماً للاختصار وتفادياً من ملال القارئ لان شرحها كما يجب يحتاج الى كتاب على حدته ·

وهنا أشرع بالمقصود مصدراً إياه بهذا التمهيد فأقول :

« المطرد والشاذ »

المطرد عند النحاة مااستمر في الاعراب وغيره ·

والشاذ عندهم مافارق بقية بابه وانفرد عنها الى غيرها ·

والمطرد والشاذ على اربعة أضرب ·

« الضرب الاول »

هو ما اطرد قياساً واستعمالاً اي هو الذي يقتضيه القياس ويستعمل في حر الكلام وذلك كالرفع في الفاعل والنصب في المفعول والخفض في المجرور نحو قام زيد ورأيت زيداً ومررت ببكر ، هذا الضرب هو الغاية المطلوبة من وضع فن النحو وتقرير قواعده وضبط مناهجه على الوجه الذي نطق به فصحاء العرب وذوو اللسن منهم ·

« الضرب الثاني »

هو مااطرد في القياس وشذ في الاستعمال اي ان القياس يقتضيه لكنه غير مستعمل في حر الكلام وذلك نحو الماضي من يذر[1] ويدع ، اصل الاول وذره يذره كوسعه يسعه فان القياس يوجب ان يكون له ماضٍ أسوة بامثاله من الأفعال التي فاؤها واو كيرث و يثق ويرم ويرع فنقول في ماضيهما ورث ووثق وورم وورع ، اما يذر فليس له ماض اي لم يستعمل له ماضٍ في حر الكلام ، واما يدع فأصله ودعته ادعه ودعاً ، يقول النحاة ان العرب اماتت ماضيه ومصدره واسم الفاعل منه ، كما أماتت هذه الكلمات من يذر ، لكن قرأ مجاهد وغيره من أئمة القراء « ماودَعَك ربك » وورد في الحديث « لينتهين قوم عن ودْعهم » وقد جاء في بعض الاشعار ودع ماضياً فليس لنا ان نقول ان العرب أماتت من هذه الكلمة ماضيها ومصدرها انما لنا ان نقول انها قليلتا الاستعمال ·

من أمثلة هذا الضرب ، خبر عسى اسماً صريحاً نحو قولك عسى زيد قائماً او قياماً ، هذا هو القياس أسوة باكثر أخوات عسى التي يكون الخبر فيها اسماً صريحاً ، غير ان استعمال خبرها اسماً صريحاً في حر الكلام محظور وما ورد منه في الشعر يعد شاذاً ·

(١) كما ان يذر لا ماضي له فليس له مصدر ولا اسم فاعل فنقول بدل هذه الكلمات المائتة « ترك وتَرْك وتارك » وجاء عن بعضهم ليذر ماضٍ شعراً وذرته وهو شاذ ·

« حكم هذا الضرب »

هذا الضرب من الشاذ لا يجوز استعماله في حر الكلام ولا الاحتجاج به في تمهيد الاصول لانه كالمرفوض ، انما للشاعر ان ينطق به مضطراً . قال ابن جني « يجوز للشاعر ان ينطق بما ينتجه القياس حين الاضطرار اليه كاظهار التضعيف في قوله (الحمد لله العلي الأجلل) وقوله (اني اجود لاقوام وان ضننوا) .

قلت يفهم من كلام ابن جني ان للشاعر حين الاضطرار ان ينطق بماضي يذر وماضي يدع وان يأتي بخبر عسى اسماً صريحاً وبكل مايرتضيه القياس وان خالف الاستعمال .

« الضرب الثالث »

هو ما اطرد في الاستعمال وشذ في القياس اي المستعمل في حر الكلام وان كان القياس يأباه وذلك نحو استصوبت الرأي واستحوذت على الكتاب واستنوق الجمل فان هذه الأمثلة شاذة عن القياس اذ هو يقتضي في استصوبت ان يقال استصبت وفي استحوذت استحذت وفي استنوق الجمل استناق كما تقول استقمت لا استقومت واستقام لا استقوم .

من هذا الضرب اي الشاذ قياساً المطرد استعمالاً (احزنه) فان مضارعه المقيس (يحزنه) بضم اوله لان ماضيه رباعي يجب ان يكون مضارعه مضموم الاول وانما اطرد استعمالاً "يَحزُنُ"(١) بفتح اوله وضم ثالثه ومثله احمه الله فهو محموم وقياسه محم بضم ففتح لانه اسم مفعول لرباعي ومنه اجنه الله فهو مجنون وقياسه مجن بضم ففتح وهو شاذ في الاستعمال .

« حكم هذا الضرب »

حكم هذا الضرب من الشواذ — اتباع السمع الوارد فيه نفسه فيستعمل في حر الكلام لكن لا يقاس عليه غيره .

---

(١) كان الاصمعي يقول الفصيح و يلغي ماسواه وابوزيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً فيجيز كل شيء قيل ، قال ومثال ذلك ان الاصمعي يقول حزنني الامر يحزنني ولا يقول احزنني ، قال ابوحاتم وهما جائزان لان القراء قرأوا لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يحزنهم جميعاً بفتح الياء وضمها .

« الضرب الرابع »

هو الشـاذ قياساً واستعمالاً ومن امثلته قولهم ثوب مصوون ومسك مدووف وفرس مقوود فان القياس يأبى تماثب الواوين كما ان استعمال مثل هذه الكلمات مما لا يرضاه فصحاء العرب ، ومن هذا الباب كلمات يؤتى منها ببعض حروفها بحيث لا يعرف منها اصلها كقول لبيد (درس المنا بمتالع فابان) فان المنا لا تفيد ان المراد منها المنازل وانما استفيد هذا من القرينة .

« حكم هذا الضرب »

حكم هذا الضرب من الشواذ الرفض فلا يستعمل في حر الكلام ولا في ضرورة الشعر لانه غير مقبول عند الفصحاء والبلغاء .

قلت من هذا الضرب تشديد النون من لدنه في قول ابي الطيب :

فارحام شعر يتصلن لدنّه وارحام مال مانني تنقطع

فهو مما شذ قياساً واستعمالاً وقد قيل لابي الطيب ان تشديد النون من لدن غير معروف في لغة العرب فأجاب بما خلاصته : ان للشاعر من الكلام ما ليس لغيره لا للاضطرار اليه لكن للاتساع فيه واتفاق اهله عليه فيحذفون ويزيدون واورد في ذلك ابياتاً منها :

اذا غاب غدوا عنك بلم[1] لم يكن جليداً ولم تعطف عليـه العواطف

ومنها قول لبيد (درس المنا) واتى من هذا النحو بكثير من كلام شعراء العرب الذي يخالف القياس والاستعمال ومن جملة ما استشهد به على قوله ان للشاعر من الكلام ما ليس لغيره قول بعض الاعراب :

(من لد شولاً فالى اتلائها) حيث حذف كان واسمها بعد لد وهو شـاذ قياساً واستعمالاً كما سنبينه .

وقد ردّ عليه ناقدو شعره فيما احتج به عليهم وقالوا خلط هذا الرجل باحتجاجه واجرى كلامه الى غاية توجب قلب اللغة ونقض مباني العربيـة لانه جعل الشعراء بزعمه امراء الكلام واباح لهم التصرف على غير ضرورة ، وهذه القضية ان سيقت على اطراد قياسها زال نظام الاعراب وجاز للشاعر ان يقول ماشاء وانما أجيز للشاعر ابواب محصورة مثل

(١) يريد ابن العم .

صرف مالا ينصرف وقصر الممدود واظهار التضعيف كقوله « اني أجود لأقوام وان ضننوا » وغير ذلك لا يسامح به الشاعر مما ليس له اصل يرجع اليه ويبنى أسه عليه ، اما تشديد النون من لدنه فليس هو من هذا القبيل بل هو مما شذ قياساً واستعمالاً فهو غلط محض اه .

هنا أشرع بذكر طائفة مما سقنا هذا التمهيد من اجله وقد تسنى لنا جمعه من الكتب الموضوعة في فن النحو متوخياً به مذهب اهل البصرة دون مذهب اهل الكوفة جرياً مع جمهور علماء هذا الفن من حيث اتباعهم مذاهب البصريين في أكثر المسائل المختلف فيها بين اهل المصرين المذكورين فأقول :

— ما افعل — لايجوز استعمال ماافعل في التعجب من البياض والسواد كما لايجوز استعماله في غيرهما من الألوان وما ورد من ذلك في قوله :

اذا الرجال شتوا واشتد اكلهم فأنت ابيضهم سربال طباخ

وقوله :

جارية في درعها الفضفاض تقطع الحديث بالايماض
ابيض من اخت بني اباض

فهو شاذ قياساً واستعمالاً او يكون مراد الشاعر بابيض الذي مؤنثه بيضاء فيكون معناه فانت مبيضهم وفي درعها جسد ابيض .

— لا في خبر لكن — لا يجوز دخول لا في خبر لكن وشذ دخولها عليه في قوله : (ولكنني من حبها لعميد) .

— النيف — لاتجوز اضافة النيف الى عشرة وشذ قياساً واستعمالاً إضافتها الى عشرة بقوله :

كلف من عنائه وشقوته بنت ثماني عشرة من حجته

على ان العدد المركب بمنزلة اسم واحد والاسم الواحد لا يضاف بعضه الى بعض ، واذ أضيف النيف الى العشرة يبطل المعنى فانك اذا قلت قبضت خمسة عشر من غير إضافة دل على انك قبضت خمسة وعشرة ، واذا قلت قبضت خمسة عشرة بالاضافة دل انك قبضت الخمسة دون العشرة كما لو قلت قبضت مال زيد فان المال يدخل في

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

القبض دون زيد كذلك ضربت غلام زيد فان الضرب يكون للغلام دون زيد ·

– استطراد – اذكر هنا الحكم في تعريف العدد استطراداً لكثرة ما تمس الحاجة اليه اذ كان الكثيرون من محرري الصحف يغلطون به فأقول :

اذا أردت ان تعرف العدد بأل فصلها بجزئيه ان كان معطوفاً فقل اخذت الواحد والاثنين والحادي عشر والثاني عشر والعشرين والثلاثين والمائة والمائتين الخ ، وصل أل بجزئه الاول ان كان مركباً اي ان كان من احد عشر حتى تسعة عشر فقل اخذت الاحد عشر ديناراً والاثني عشر درهماً الخ ، وصل أل بجزئه الثاني ان كان مضافاً فقل جاء في خمسة الرجال وتسعة الرجال الخ ·

هذا هو الحكم في تعريف العدد وعليه اتفاق الطائفتين ، غير ان الكوفي منهما يجيز في المضاف والمركب تعريف الجزئين فيقول في خمسة عشر درهماً (الخمسة العشر الدرهم) و يقول في المضاف جاء في الخمسة الرجال ، على ان البصريين ينكرون ذلك و يقولون ان تعريف الجزء الثاني ايضاً من المركب غير جائز لان الاسمين لما ركب احدهما مع الآخر صارا بمنزلة اسم واحد لا ينبغي ان يجمع فيه بين علامتي التعريف بل تلحق الاسم الاول منها لان الثاني يتنزل منزلة بعض الحروف ولذا عرف العرب الجزء الاول من الاسم المركب فقال ابن حمر :

تفقأ فوقه القلع السواري وجن الخازباز[1] به جنوناً

فقال الخازباز ولم يقل الخاز الباز فعرف الجزء الاول ولم يكرر التعريف بالثاني ولم يحك عن العرب ذلك في شعر ولا في اختيار الكلام ، واما تعريف الدرهم فغير جائز لانه تمييز والتمييز لا يكون الا نكرة ·

اذا اتضح لك حكم تعريف العدد فاعلم ان كثيرين ممن يكتبون في صحف الأخبار يعرفون الجزء الثاني من العدد المركب فيقولون مثلاً اخذت خمسة العشر قرشاً وهذا غلط يأباه المذهبان ومنهم من يعرف الجزء الاول من العدد المضاف فيقول مثلاً ، اخذت الخمسة قروش وهذا ايضاً خطأ مخالف للمذهبين ، ومن هذا القبيل غلطهم في كلمة (غير) فانها من الاسماء الملازمة للاضافة فهي معرفة بما تضاف اليه فيلزم تعريفه فيقال مثلاً

(١) الخازباز هو صوت الذباب او هو اسم للسنور وقيل فيه غير ذلك ·

هذا غير المطلوب منه ولا يجوز ان يقال هذا الغير مطلوب منه لما علمت ·

رجعاً الى الكلام على الشواذ

(ياء النداء) لا يجوز دخول هذه الياء على لام اللهم لان الميم عوض عنها وشذ دخولها عليها قياساً واستعمالاً في قوله :

اني اذا ما حادث الما   اقول يا اللهم يا اللهما

وقوله :

وما عليك ان تقولي كلما   سبحت او صليت يا اللهما

فان هذه الاشعار لا يعرف قائلوها فليس فيها حجة او يقال ان الشاعر جمع بين العوض والمعوض شذوذاً كما جمع بينهما كذلك في قوله :

هما نفثا في من فمويهما   على النابح العادي اشد رجام

(الخفض في القسم) لا يجوز الخفض في القسم باضمار حرف الخفض الا بعوض نحو الف الاستفهام كقولك للرجل آالله مافعلت كذا او هاء التنبيه نحو هاالله ، وماعدا ذلك فهو شاذ استعمالاً ·

(الفصل بين المتضايفين) لا يجوز الفصل بينهما بغير الظرف وحرف الجر لضرورة الشعر وشذ الفصل بينهما بغير ذلك قياساً واستعمالاً بقوله :

فزججها بمزجة   زج القلوص ابي مزاده

والتقدير زج ابي مزادة القلوص ·

وقوله :

تمر على ما تستمر وقد شفت   غلائل عبدالقيس منها صدورها

والتقدير شفت عبد قيس غلائل صدورها منها ·

وقوله :

لما رأت ساتيدما استعبرت   لله در اليوم من لامها

يريد لله در من لامها اليوم ·

(ساتيدما) جبل ما طلعت عليه الشمس الا اريق فيه دم ·

وقوله :

عرفنا جعفراً وبني ابيه وانكرنا زعانف آخرين

— الا لا يليها من الضمائر غير الضمير المنفصل وشذ ايلاؤها الضمير المتصل بقوله :

اعوذ برب الناس من فئة بغت عليَّ فمالي عوض الاه ناصر

وقد اخذ على المتنبي قوله :

ليس الاك يا علي همام سيفه دون عرضه مسلول

وقوله : (لم تر من نادمت الاكا)

— مني وعني بالتشديد تلزمها نون الوقاية وشذ تخفيفها لحذف نون الوقاية منها بقوله :

أيها السائل عنهم وعني لست من قيس ولا قيس مني

— لا يجوز دخول ال الموصولة على الفعل المضارع وشذ دخولها عليه قياساً واستعمالاً بقوله :

من القوم الرسول الله منهم لهم دانت رقاب بني معد

وقوله :

من لا يزال شاكراً على المعه فهو حر بعيشة ذات سعه

ARCHIVE

— اذا كان متعلق الظرف والجار والمجرور — خبرين وجب حذف متعلقها وشذ التصريح به في قوله :

لك العز ان مولاك عز وان يهن فانت لدى بحبوحة الهون كائن

وقد صرح ابن جني بجواز اظهاره لكونه اصلاً .

— لا يجوز تقديم الخبر المحصور فيه المبتدا بالا — على المبتدإ وشذ قياساً واستعمالاً تقديمه على المبتدأ المحصور بالاً في قوله :

فيارب هل الاَّ بك النصر يرتجى عليهم وهل الا عليك المعول

— لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ الذي دخلت عليه لام الابتداء ، وشذ تقديم الخبر على المبتدأ الداخلة عليه لام الابتداء في قوله :

خالي لأنت ومن جرير خاله ينل العلاء وتكرم الاخوال

— لا يجوز حذف كان مع اسمها بعد لدُ وشذ حذفها قياساً واستعمالاً في قوله :

كتحبير الكتاب بكف يوما يهودي يقارب او يزيل
يريد بكف يهودي ·
وقول ابي الطيب وقد اخذ عليه :
حملت اليه من ثنائي حديقةً سقاها الحجى سقي الرياضَ السحائب
يريد سقي السحائب الرياض ·
الى غير ذلك من الاشعار التي فصل فيها بين المتضايفين وكلها مما لا يحتج بهـا لان قائليها غير معروفين سوى المتنبي ·
(تأكيد النكرة) لا يجوز تأكيد النكرة بغير لفظها فلا يقال جاءني رجل نفسه وشذ تأكيدها بغير لفظها بقوله :
لكنه شاقه ان قيل ذا رجب يا ليت عدة حول كله رجب
والبصريون يروونه (حولي) ·
وقوله :
(قد صرت البكرة يوماً اجمعا) هذه الشطرة لا يعرف قائلها ·
(العطف على الضمير المرفوع المتصل) لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل في حر الكلام فلا يقال ضربت وزيدٌ وشذ في قوله :
قلت اذ اقبلت وزهر تهادى كنعاج الفلا تعسفن رملا
وقوله :
ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وابٌ له لينـالا
(العطف على الضمير المخفوض) غير جائز فلا يقال مررت بك وزيدٍ وشذ ما ورد من ذلك ·
— أظن أنْ بعد كي شاذ —
— لا تأتي كما بمعنى كيما فتنصب مابعدها وماجاء من ذلك فهو شاذ ·
(الحال) يجب ان تكون نكرة ولا يجوز ان تكون معرفة وشذ في ذلك قياساً قول بعض العرب (ارسلها العراك) و (طلبته جهدك) و (رجع عوده على بدئه) ·
(نون جمع المذكر السالم) لا يجوز كسره وشذ ذلك قياساً واستعمالاً في قوله :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(من لد شولاً فالى اتلائها) والتقدير من لد كانت النياق شولاً الى زمن تبعية ولدها لها ، وقد سبق الكلام على استشهاد المتنبي بهذه الشطرة محتجاً على من انكر عليه تشديد لدنه في قوله (فارحام شعر يتصلن لدنه) .

— لايجوز ان تعمل ان النافية عمل ليس وشذ عملها كذلك بقوله

ان هو مستوليًا على احد   الا على اضعف المجانين

— لايجوز دخول اللام على خبر غير إن المكسورة وشذ دخولها على خبر أمسى بقوله

مروا عجالاً فقالوا كيف سيدكم   فقـال من سئلوا أمسى لمجهودا

— لايجوز دخول اللام على الخبر وشذ دخولها عليه بقوله

ام الحليس لعجوز شهربة   ترضى من اللحم بعظم الرقبة

— لايجوز دخول اللام على خبر أن المنفي بلا وشذ دخولها عليه بقوله

واعلم أن تسليماً وتركا   للا متشابهان ولا سواء

— لايجوز ان تجر رب الضمير وشذ جرها اياه بقوله

واه رأيت وشيكاً صدع أعظمه   وربه عطبـاً انقذت من عطبـه

(حتى لا تجر المضمر) وشذ جرها اياه بقوله

فلا والله لا يلفي أناس   فتى حتاك يا ابن ابي زياد

(الكاف لاتجر الضمير) لانها مخصوصة بجر الظاهر وشذ جرها اياه بقول بعضهم

(رب) لايجوز ان تحذف و يبقى عملها من غير ان يتقدمهـا واو او فاء او بل وشذ جرها دون ان يتقدمها احد الثلاثة بقوله

رسم دار وقفت في طلله   كدت اقضي الحياة من جلله

(كلا تضاف الى مفهم اثنين) دون ان يكون بينهما مايفرقهما فيقال كلا الرجلين كما جاء في قوله

ان للخير وللشـر مدى   وكلا ذلك وجه وقبل

فاما اذا أضيفت الى مفهم اثنين لكنهما متفرقان كقوله

كلا أخي وخليلي واجدي عضداً   في النـائبات وإلمام الملمات

فان اخي وخليلي وان كانا مفهمي اثنين الا انها قد فرق بينهما بواو العطف فاضافة كلا اليهما في هذا البيت شاذة ٠

(الجمع بين حرف النداء وال في غير اسم الله تعالى وما سمي به من الجمل) غير جائز وشذ الجمع بينهما في قوله

فيا الغلامان اللذان فرا   ايا كما ان تعقبـــان شرا

(المضارع) لا ينصب بان محذوفة في غير المواضع التي تحذف فيها وجوباً اوجوازاً وشذ نصبها اياه محذوفة في غير ذلك كقوله

الا ايها ذاالزاجري أحضُرَ الوغى   وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

والبصريون يروونه احضر بضم الراء ، وقد اخذ على المتنبي نصبه المضارع بان محذوفة في قوله

بيضاء يمنعها تكلَّمَ دلُّها   تيهاً ويمنعها الحياء تميسا

(من الاستفهامية) تلحقهــا الواو والنون في حالة الوقف فقط كما اذا قيل لك جاء القوم فقل منون بسكون النون الاخيرة ولا يجوز الحاقها بالواو والنون في حالة الوصل وشذ ذلك في قوله

اتوا ناري فقلت منون انتم   فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

والقياس هنا يقول من انتم وفي هذا البيت عدة شذوذات منها تحريك النون الاخيرة من منون مع انها ساكنة ٠

(الاسم المفرد) الواوي العين اذا كانت صيغة جمعه على وزن فُعَّل جاز بقاء عينه في الجمع واواً وجاز اعلالها اي قلبها ياء فتقول في جمع صائم ونائم صوَّم ونوم وصيَّم ونيم ٠

واذا كانت صيغة جمع الاسم المذكور على وزن فُعَّال وجب بقاء عينـــه واواً ولا يجوز اعلالها اي قلبها ياء فتقول في جمع صائم ونائم صوام ونوام ولا يجوز ان تقول صيام ونيام وشذ عن ذلك قوله

ألا طرقتنا مية ابنة منذر   فما أرّق النيام الا كلامها

(سواء) لا يجوز تثنيتها للاستغناء عنها بسي وشذ تثنيتها بقوله

فيارب ان لم تجعل الحب بيننا   سوائين فاجعلني على حبها جلدا

(نون التوكيد) تلحق المضارع والامر فقط وشذ الحاقهـا باسم الفاعل في قوله « أشاهرن بعدنا السيوفا) وقوله « أقائلن أحضروا الشهودا » .

— لايجوز ان يجمع اللفظ جمع مذكر سالم اذا كان مذكره على أفعل ومؤنثه على فعلاء كاحمر حمراء وشذ جمعه في قوله

فما وجد : نساء بني تميم حلائل أسودين وأحمرينا

— لايجوز ان يجمع اللفظ جمع المذكر السالم اذا كان مما يستوي فيه المذكر والمؤنث وشذ جمعه كذلك بقوله

منا الذي هو ما إن طرّ شاربه والعانسون ومنا المرد والشيب

فان العانس من الصفات المشتركة التي لاتقبل التاء عند قصد التأنيث لانهـا تطلق على المذكر والمؤنث بلفظ واحد .

ولنكتف الآن بهذا القدر من الشواذ فحسب التاجر نموذجاً من سلعته حفنة يعرضها على المبتاعين اعلاماً بنوعها وتشجيعاً لهم على ابتياعها والله حسبي ونعم الوكيل .

حلب : كامل الغزي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس للغة قاموس

محيط بها

يظن بعضهم ان كل كلمة لم ترد في قاموس الفيروزابادي وفي صحاح الجوهري وسفر لسان العرب ليست من اللغة وان استعمالها يكون خطأ ويجمعون على الكاتب الذي يكون قد استعملها بالتجهيل والتنديد ٠ و يتوسع بعضهم في الامور فيضيف الى هذه المعاجم الثلاثة مخصص ابن سيده وأساس البلاغة والمصباح وتاج العروس فاذا كانت اللفظة لم ترد في هذه المعاجم السبعة فهي عنده ليست من كلام العرب في قليل ولا كثير ٠

وقد غلب هذا الوهم على أكثر الناس ونسوا ان مؤلفي هذه الكتب بشر مثلنا وانه لا يمكن ان تكون تآليفهم أحاطت بكل شيء فلم تدع شاردة ولا فاردة وانما نقل بعضهم عن بعض وقلد الآخر الاول حتى في الخطإ ونسوا انه من المأثور انه لا يحيط بلسان العرب الا نبي ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولست أريد بذلك ان هذه الكتب ليست معياراً يصح الرجوع اليه او ان وجود اللفظة فيها وعدمه سواء وان للانسان ان يستشهد بها وان لا يستشهد ٠ كلا ٠ ليس هذا المقصود بل كل ما أريد ان أقوله هو ان الاحاطة لم تتم وان كلمات كثيرة شردت من هذه المتون كلها او بعضها وهي لاتقل عروبة عن الكلمات المقيدة فيها ٠

ولاينبغي ان يؤخذ من هذا ايضاً ان الخطأ الذي يجوز ان يقع فيه بعض الكتاب والمؤلفين من استعمال لفظ لم يسمع او لم يرد بالمعنى الذي استعمله فيه ذلك المؤلف لايكون معدوداً من باب الخطإ ولو خلت منه المتون التي ذكرناها ٠

كلا لايزال الخطأ خطأً والصحيح صحيحاً ولن تبرح هذه المعاجم لا سيما متى اتفقت رواياتها أحسن مراجع اللغة العربية ٠

ولكن تأتي لفظة في كلام علي بن ابي طالب او غيره من الصحابة رضي الله عنهم وتدل القرائن مما سبق ولحق على ان اللفظة ليست من تحريف النساخ ولا تصحيفهم بل هي هكذا من الاصل فهل نقول انْ علياً أخطأ في الكلام العربي لكون تلك اللفظة لم تجئ في تاج العروس ؟

وتأتي أخرى في كلام الجاحظ او ابن المقفع او كتاب وشعراء متأخرين عنهما لكنهم ممن حفظ من اللغة اكثر مما حفظ الفيروزابادي وابن منظور والمرتضى الزبيدي فهل نحكم عليها بانها غلط لمجرد خلو لسان العرب منها ؟

كلا لانخطئ الثقات والاثبات والذين ينزلون مايقولون بمنزلة مايروون لاجل خلو هذه المعاجم من كلمات استعملها هؤلاء الائمة ·

وقد كانْ الاستاذ الطيب الذكر الشرتوني صاحب أقرب الموارد صديقاً حميماً لي وكثير الاجتماع معي فكاشفته مرة بما في نفسي من هذا الامر فوافقني عليه وسردت له عدة الفاظ وجدتها في كلام الفصحاء فنقلها وعثر هو على أخرى من بابها وأوعب ذلك كله في ذيل كتابه أقرب الموارد واثبتها تحت اشارة حرف « س » اي سعيد الذي هو سعيد الشرتوني أجزل الله ثوابه · وسماها بالشوال « التي افلتت براع اللغويين فلم يذكروها في مظانها من كتبهم » واني أذكر منها ما نبهته اليه من قول ابن المقفع في الدرة اليتيمة « وانْ رأيت نفسك تصاغرت الدنيا » اي رأتها صغيرة فاثبتها في ذيل أقرب الموارد وكنت انتبهت لها يوم طبعت درة ابن المقفع وهي الطبعة الاولى لها ·

وذكرت له ايضاً قول ابن الأبار القضاعي البلنسي في سينيته الشهيرة التي يستصرخ بها صاحب تونس الحفصي لنجدة الاندلس وهو هذا البيت :

وحال ما حولها من منظر عجب يستوقف الركب او يستركب الجلسا

فقد جاء في معاجم اللغة (استوقف) بمعنى طلب الوقوف · ولم يجئ (استركب) بمعنى طلب الركوب · الا ان الحافظ الشهير ابن الابار القضاعي كان بحراً زاخراً من أبحر اللغة ولم يكن ممن يضع من عنده او ممن يتعسف في النقل ·

فهذه ايضاً أثبتها الشرتوني في ذيل كتابه وهي مما نبهته اليه مع غيرذلك من الألفاظ وقد جاءت ايضاً في كلام لسانْ الدين بن الخطيب في وصف اهل الاندلس وناهيك

بلسان الدين بن الخطيب رواية وثقة وحافظاً للغة ٠

الا ان الاستاذ صاحب المنار نبهني الى ان الأساس أورد (استركبته فاركبني) ولم يزدني هذا التنبيه الا اقتناعاً بصحة مذهبي الذي هو عدم الجزم بخطإ استعمال لم يرد في احد المعاجم الشهيرة فأنت ترى ان لسان العرب والقاموس لم يذكرا (استركب) وان الاساس أوردها ٠ ومن الغريب ان صاحب التاج لما استدركه على القاموس في مادة (ركب) نقل عن الاساس كلمات ولم ينقل جملة (استركبته فأركبني) فورودها في معجم وعدم ورودها في معجم آخر أدل دليل على عدم الاحاطة وكذلك عدم نقل صاحب التاج لهذه اللفظة عن الاساس مع نقله غيرها في هذه المادة عنه دليل على عدم ثقته بصحتها ٠

ومما جاء في يتيمة ابن المقفع لفظة (راكم) اي ركم بعضه على بعض ولم يرد (راكم) لا في لسان العرب ولا في القاموس ولا فيما استدركه التاج ولا في أساس البلاغة وكلهم قالوا : أرتكم الشيءُ وتراكم اجتمع بعضه فوق بعض وركمه ركماً فارتكم وتراكم ٠

ولنفرض ان (راكم) هنا هي من تحريف النساخ ولم تكن في اصل كلام عبدالله بن المقفع فخذ لك لفظة لم ترد في معاجم اللغة وهي من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتحريف بعيد عنها ٠

جاء في الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد في الجزء الثالث ص١٩٨ طبعة ليدن مايلي من قول عمر : « ثم إئت رجلاً من قومك من تجارهم فقم الى جنبه فاذا اشترى شيئاً فاستشركه فاستنفق وأنفق على أهلك » ٠

ورد في المعاجم (استنفقه) لكن لم يرد (استشركه) في لسان العرب ولا في القاموس ولا في التاج ولا في أساس البلاغة ٠ فهل نقول ان عمر لا يعرف اللسان العربي ؟ ألا ان هؤلاء هم أهل اللسان وعنهم اخذ ٠

ومن كلام عمر ايضاً ص ٣٢٩ من الجزء الثالث من الطبقات طبعة اوربة (أحصوا العيالات الذين لا يأتون) ولم أجد (عيالات) في كتب اللغة بل جمع العيل عيال وعيائل ولقد ورد رجالات في جمع رجل ٠ فكأن العيالات جمع الجمع ٠

ولم يرد في معاجم اللغة (عديد) بمعنى كثير بل هي بمعنى عدد يقال لا يحصى عدده

او عديده • ولكن صاحب تاج العروس نفسه سيف مقدمة التاج سيف الصفحة العاشرة يقول ما يلي :

وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير فأملى ابو العباس ثعلب مجالس عديدة في مجلد ضخم •

ولم يرد (النوادي) بمعنى المجالس سيف كتب اللغة اي جمع ناد (وذكروا جمع ناد) على أندية وجمع الجمع أنديات • وقالوا سيف النوادي انها جمع نادية اي النخلة البعيدة عن الماء • ومما استدركه صاحب التاج على القاموس : نوادي الكلام ما يخرج وقتاً بعد وقت والنوادي النواحي عن ابي عمرو والنوادي النوق المتفرقة ومما جاء سيف معنى النوادي الحوادث •

والحال ان صاحب القاموس يقول سيف مقدمة القاموس (محمد خير من حضر النوادي) وفسرها صاحب التاج بقوله : المجالس مطلقاً او خاص بمجالس النهار او المجالس ماداموا مجتمعين فيها •

وجاء في تاريخ الخلفاء العباسيين من (كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق) من جملة اخبار ماز يار وعبد الله بن طاهر ما يأتي : « وكان قادن هذا ابن اخي ماز يار وقد قوده وجعله مع اخيه قادن وضم اليه عدة من كبار قواده » يريد ان يقول جعله قائداً كما يقال (امّره) جعله اميراً • ولكني لم اجد (قوّده) بهذا المعنى لا في لسان العرب ولا سيف القاموس ولا سيف مستدرك التاج ولا سيف أساس البلاغة للزمخشري • وهم يقولون (قوده) كقاده شدد للكثرة وفي الاساس قود فرسه اكثر قياده واذا نزلت من فرسك فقوده •

وعبارة كتاب العيون والحدائق لاتؤتى من ضعف وهي من أفصح الفصيح وسيف العيون والحدائق (ايضاً) : وكتب الى عبد الله بن طاهر سيف تحصيل الحسن ولدالافشين فحصله عبد الله بادنى حيلة •

وظاهر هنا انه يريد بلفظة (تحصيل) معنى الادراك او المسك والحال انه لم يرد في هذا المعنى للاشخاص بل للاشياء يقال حصلت الشيء تحصيلاً أدركته قاله ابوالبقاء • وجاء سيف القاموس التحصيل تمييز ما يحصل • وقال الراغب التحصيل اخراج اللب من

القشرة وجمعه كاخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن قال الله تعالى (وحصل ما في الصدور) اي أظهر ما فيها وجمع . وفي التاج تحصيل الكلام رده الى محصوله وقد جاء ذلك في الاساس ومما ورد في الاساس من هذه المادة : حصل العلم واجتهد فما تحصل له شيء وحصل تراب المعدن ميز الذهب منه وخلصه وحصل الدقيق بالمحصل وهو المنخل وحصلوا الناس في الديوان ميزوا بين شاهدهم وغائبهم وميتهم وقال ذو الرمة :

(اذا الاشباه حصلت الرجالا)

اي ميزت خيارها من شرارها . وسمي كتاب الحصائل لان صاحبه زعم انه حصل فيه مافات الخليل اه .

فأما حصل رجلاً بمعنى أدركه او قبض عليه فلم ترد في معاجم اللغة وانما نجد العامة يقولونها فاذا أدرك انسان آخر بعد لأي يقال حصله بعد ان كاد يفوته وحصلت فلاناً في المحل الفلاني وما أشبه ذلك .

وفي الجزء الاول من طبقات ابن سعد (ص ١١٥) طبعة ليدن عن ابن عباس من حديث « فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان (يعني عثمان بن مظعون) الى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه (نغض رأسه وبرأسه حركه) كأنه يستفقه مايقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه مايقال له وشخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء كما شخص اول مرة (الى ان يقول) : فتحرفت اليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك او فطنت لذلك قال عثمان نعم الخ » .

والحاصل انه استعمل فعل (استفقه) وكرره ثلاث مرات وهو هنا بمعنى (استوعب) او (استفهم) وليس في القاموس ولا التاج ولا اللسان ولا أساس البلاغة (استفقه) وكل ماهناك المستفقهة التي تجاوب النائحة .

والحديث هو عن عبدالله بن عباس وفي الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد وقد تكررت اللفظة ثلاث مرات بحيث لا محل لاحتمال التحريف او التصحيف فضلاً عن كون القرينة تقضي بانها (استفقه) وكون القياس يؤيدها .

وقد جاء في كتاب (نوادر الحمقى والمغفلين) المائق بمعنى الاحمق . ولم أجد هذه اللفظة

م ٤ ٦

بهذا المعنى لا في لسان العرب ولا في القاموس ولا في استدراكات التاج ولا في الاساس وانما وجدت في المخصص لابن سيده في الجزء الثالث طبعة بولاق في باب ضعف العقل : رجل مائق بين الموق اي الحمق ·

وجاء في المخصص في تعريف الطباجة انه الاحمق (المائق) ·

وعن ابن السكيت : الطباجة الاحمق المائق القليل العقل الخبيث الذي لاخير فيه ولاعمل عنده وبلى سيعمل وعمله ضعيف وضرسه (بفتح فسكون) أشد من عمله ولايحاضر به القوم وبلى سيحضر ولايتكلم ·

وراجعت أقرب الموارد لصديقنا الاستاذ الشرتوني فوجدته تابع القاموس واللسان والتاج فلم يذكر سوى :مئق الصبي يأق مأقاً اخذته المأقة فهومئق والمأقة شبه الفواق كأنه نفس يقلعه من الصدر عند البكاء والنشيج · والمئق الباكي ومنه انت تئق وانا مئق فكيف نتفق ·

وفي الجزء الاول من طبقات ابن سعد الصفحة ٤٣ عن عثمان رضي الله عنه : خرج الى الناس فخطبهم · وقد رأيت هذا الاستعمال في غير موضع من كتب الاولين · والحال اني لم أجد في كتب اللغة خطب الناس بمعنى خطب عليهم او قال خطبة فيهم · وانما فعل (خطب) يتعدى رأساً اذا كان بمعنى طلب كأن تقول خطب وده او بمعنى طلب التزوج كأن تقول خطب فلان فلانة ·

وجاء في رسائل بديع الزمان الهمذاني فعل (تقلق) بمعنى تكلف القلق ولم يرد هذا في كتب اللغة وانما العامة تقوله · وكثيراً مايقولون رأيته متقلقاً اي في قلق · وقد يقولون : تقلق في الليل بمعنى أرق ·

وقد جاء في تاج العروس لفظة (إشهار) اتى بها عند تفسير (تنديداً) فقال (اشهار آله) ثم عند تفسير (شاهر سيوف العدل رد الغرار الى الاجفان بسلها) فقال : يعني ان اشهار سيوف العدل كان سبباً في ذلك ·

والحال انه في مادة شهر لم يأت بها في هذا المعنى بل قال : واشهروا اتى عليهم شهر تقول العرب : أشهرنا مذ لم نلتق · وقال : شهر زيد سيفه كمنع سله يشهره شهراً·وفي حديث ابن الزبير : من شهر سيفه ثم وضعه هدر دمه اي من أخرجه من غمده للقتال ·

وفي الحديث : ليس منا من شهر علينا السلاح ·

والعامة في بلادنا تقول (شهر) الثلاثي ولا تقول (أشهر) ولكن صاحب التاج استعملها مع نقله هذا الفعل عن الفيروزابادي مجرداً ·

ولقد استعمل عبد الله بن المقفع في الدرة اليتيمة لفظة (التبخيل) بمعنى الحمل على البخل وهو استعمال صحيح ومنه الحديث عن الاولاد : انكم لتبخلون وتجبنون · وفي حديث آخر الولد مبخلة مجبنة مما يؤيد هذا المعنى ولكن لسان العرب في تعريف التبخيل لا يزيد على قوله (بخله رماه بالبخل او نسبه الى البخل) ·

وأقرب الموارد لا يقول سوى (بخله) رماه بالبخل · وراجعت ذيل أقرب الموارد لعلي أجد على ذلك استدراكاً فلم اجد ·

ولكن التاج ذكر التبخيل بالمعنى الذي جاء في الحديث الشريف والذي جاء في كلام عبد الله بن المقفع فقال : (وبخله تبخيلاً رماه بالبخل) وفسرها الزبيدي هكذا : او نسبه اليه او جعله بخيلاً ·

وفي نهج البلاغة لسيدنا علي كرم الله وجهه لفظة (الفركاض) في كتابه لابن حنيف ولا نجد هذه اللفظة في كتب اللغة · وقد اشار اليها الشرتوني في ذيل أقرب الموارد ·

وفي تاريخ الوزراء للصابي (وكان محمد بن داود قد وزر لعبد الله بن المعتز ودبره) ومعناه انه كان يدبر اموره او كان مستشاراً عنده · ولم ترد هذه اللفظة في كتب اللغة على هذا الوجه بل يقولون دبر الامر ودبر الوالي البلاد ولم يقولوا دبر الوزير السلطان او الخليفة ·

شكيب أرسلان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن خفاجة الاندلسي

—«×»—

هو ابو اسحق ابراهيم بن ابي الفتح بن عبدالله بن خفاجة شاعر شرقي الاندلس واحد وصاف الطبيعة ٠

ولم نعلم من نسبه اكثر مما ذكرنا ٠ وقرأنا ديوانه فلم نتعرف منه أكان عربي الأصل أم اعجميه ولعلنا بعد عاثرون على مابقفنا على حقيقة عنصره اذا كان في الاجل فسحة ، وللجهد ندحة ٠

« الحالة السياسية والاجتماعية والادبية في عصره »

لعلك أيها القاريء ذاكر ما وصفنا به في ترجمة ابن زيدون (المنشورة في الأجزاء الماضية) احوال البيئة السياسية والاجتماعية والادبية في الأندلس عصر ذلك الرجل وما كان لها من الاثر في طباعه ومعرفته ، فكذلك كانت البيئة التي نشأ فيها مترجمنا لأن ابن خفاجة الا قليلاً ، فانه نشأ في وسط هذا العصر اي في زمن ملوك الطوائف ، وعاش طويلاً حتى زالت دولهم ٠ وورث المرابطون الملثمون ديارهم وولوا عليها السادة من ابناء سلطانهم ، فشاهد كل حكمهم في الاندلس ٠

وهؤلاء المرابطون وان أسس أوائلهم دولتهم على مبدإ الانتصار للاسلام والزهادة في الدنيا ، وايثار الخشونة في العيش ، فان ابناءهم في الاندلس وولاتهم بها لم يلبثوا ان حذوا حذو ملوك الطوائف في التنعم والانق ، وان لم يستطيعوا الترفيه على كل المقيمين بالاندلس من اهل العلم والادب ، اذ كان فضل جباية الأموال والثمرات منقولاً الى الحضرة بمراكش ٠ فمن لم يستطب العيش بالاندلس ممن ادركته حرفة الأدب أجاز الزقاق الى عدوة المغرب الاقصى وافريقية ، ومن كان له بقية من تراث آبائه تبلغ

بها عن مفارقة الوطن ، وتصون عن خدمة السادة من الابناء اوالثائرين عليهم المستبدين ببعض النواحي من اهل البلاد كمُخرجنا ابن خفاجة ·

ولكل هذه الأحوال تأثير بيّن في نشأة ابن خفاجة فوق تأثير طبيعة الفليم الذي كان يقطنه من شرقي الاندلس ، وهو مدينة شقر التي تقع على نهاية وادي نهر شقر بين بلنسية وشاطبة (وهما من اطيب البلاد وأكثرها بساتين ومنازه) وعلى مقربة من بحر الروم (البحر المتوسط) وتحيط بها المياه من أكثر جوانبها حتى سميت لذلك جزيرة شقر وفيها يقول ياقوت صاحب المعجم « جزيرة شقر في شرقي الاندلس وهي أنزه بلاد الله واكثرها روضة وشجراً وماء » وفيها يقول الاديب ابو عبد الله محمد بن عائشة من قصيدة بديعة :

فيا راكباً مستعجل الخطو قاصداً الا عج بشقر رائحاً ومغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب أرقماً وهب نسيم الأيك ينفث راقيا
وقل لأثيلات هنالك وأجرع سقيت أثيلات وحييت واديا

فكان في صباه شاباً طروباً مرحاً لعوباً يستبق الى اللذات و يباكر الرياض بصفها و بناغي اطيارها ، كأنه عندليب يحط من الوادي على سرحة ، فيصدح صدحة ، ثم يتقلل منه جنات الفافاً ، فيناشد ألافاً ، طبعته على ذلك طبيعة الوادي الذي يقطنه ، والدولة التي يعيش في سلطانها ، فقد نشأ في ملك بني عبدالعزيز العامريين ومواليهم[1] المستبدين بملك بلنسية وشرقي الاندلس ، وكانوا من خير ملوك الطوائف ايثاراً للادب وحدباً على اهله وضبطاً لامور بلدهم ، فطاب العيش في اكنافهم ، واشتمل الامن على رحابهم · وكان يتاخم ملكهم الى الجنوب من موالي العامريين ايضاً ملك المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، وطال ملكه وعز سلطانه ، حتى لم يكن في آخر ملوك الطوائف من هو أقوى منه سلطاناً عند عبور المرابطين الى البلاد غير المعتمد بن عباد ·

ولم يبرح ابن خفاجة في كهولته وشيخوخته وطنه ، بل أقام في سلطان المرابطين مقرباً الى ولاتهم والسادة من ابناء ملوكهم ، متعففاً عما في ايديهم بما في يده ، متبتلاً

(١) نسبة الى المنصور بن ابي عامر الحاجب المستبد بملك بني أمية مدة المؤيد هشام ·

العافية والخصب والامن في دولتهم، حتى وافاه اجله عند انتهاء اجل دولتهم باستيلاء بني عبد المؤمن من الموحدين على ملكهم .

فقد علمت مما تقدم ان نشأته الاولى وهي سن التأدب والتحصيل كانت في بحبوحة عصر ملوك الطوائف ، وكانت الاندلس حينئذ غاصة بالادباء والشعراء والعلماء ، وكان ملوكها انفسهم شعراء وادباء ومؤلفين ، وكانوا على اشد تنافس في اصطفاء كل ذي إجادة واستيزار وزرائهم من جلة الكتاب والشعراء .

فالعيش في ظلال هذا الوادي اليانع ، وعلى ساحل هذا البحر المتوسط ، وتحت سرادق هذا الرخاء الشامل ، وبين هؤلاء المثقفين بالعلم الغزير والادب الرائع ، وحوالى هذه النعمة الموروثة ، خليق بان يخرج في أفق الادب شاعراً مثل ابن خفاجة بهجاً بالصبا لهجاً بالهوى ، ولعاً بالجمال ، متقلباً في اللذات ، وصافاً لبدائع المشاهدات من روضات الجنات ، حتى اذا ما انقشعت سحب شبابه ، وتشتت شمل أحبابه ، وعدت شعوب على اترابه أخلص في اوبته ، وأقلع عن صبوته ، الا بقية من ذكرى ايام الصبا واجتلاء محاسن الطبيعة لاتزال عالقة بشعره سائر حياته وما فارقته الا بمماته .

« نشأته ومعيشته »

ولد ابن خفاجة سنة ٤٥٠ هـ بمدينة (شقر) وضبطها ابن خلكان بضم فسكون وضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح فسكون وعندي ان ضبط ابن خلكان اقرب الى الصحة لان اسمها أعجمي هو الوادي المسمى باسمها الذي تقع هي عند مصبه وهو نهر شقر . وكتب قديماً على المصورات التاريخية للمملكة الرومانية بشين مشمة الى الضم .

ومدينة شقر هذه من اعمال بلنسية المشهورة بكثرة بساتينها وفواكهها الى وقتنا هذا . وجنوبي شقر مدينة شاطبة ، ولا تقل عن بلنسية في طيبها . وكلتا المدينتين اخرجت الكثيرين من فحول الادباء والقراء واهل الحديث والعربية ، ولاغرو فإن اكتنافهما لمدينة شقر عن يمين وشمال كان له اثر اي اثر في نشأة ابن خفاجة ، ولقنه من طائفها فنون الادب وعلوم العربية ، وان لم نقف على اسماء من اخذ عنهم ، ولا على شيء من اخبار تربيته الاولى غير كونه في شبابه صاحب لهو وتطرب وقصف ومجون يختلف مع أحبته وندمائه الى

الرياض والبساتين ويجتلي الثمار والرياحين . ثم تاب واناب . وفي ذلك يقول الفتح بن خاقان وهو من معاصريه .

« وكان في شبيبته مخلوع الرسن في ميدان مجونه ، كثير الوسن بين صفا الانتهاك وجونه ، لايبالي بمن التبس ، ولا اي نار اقتبس ، الا انه نسك اليوم نسك ابن أذينة ، وغض عن ارسال نظره في أعقاب الهوى عينه » .

ولم يعرف عنه انه تكسب بالادب والشعر او خدم في دولة ملك من ملوك الطوائف بالكتابة و بالحجابة كدأب اكثر أدباء الاندلس في التعيش فقال ابن بسام صاحب الذخيرة بعد أن أثنى عليه .

« وكان مقيماً بشرق الاندلس ، ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها ، مع تهافتهم على اهل الادب » .

إذن فمن اين كان يعيش ؟ إن من قرأ ديوانه يجد في خلاله انه كان يعيش من فضل تراث خلفه له آباؤه ، وانه كان له ضيعة او ضياع يشتغل بغلاتها ، واستغنى بها عن قصد الملوك الا اذا ظلم بمصادرة او إرهاق بضريبة ، فربما قصد بعض الملوك او امراء المرابطين في التظلم اليه ، فمدحه ببعض القصائد ، وفي ذلك المعنى قصيدته الرائية البليغة التي بعث بها الى الامير ابي يحيى بن ابراهيم يمدحه و يسأله شكر القائد الاعلى ابي عبدالله محمد بن عائشة عن بره به وحمله في امر ضياعه . واولها :

سمح الخيال على النوى بمزار والصبح يسمح عن جبين نهار

وفيها يقول في استغاثته :

حرم اذا اشتمل الطريد بظله لم يخش من جور هنالك جاري

وقوله من قطعة كتب بها الى الامير ابي بكر :

اوجهك بسام وطرفي باكر وعدلك موجود ومثلي شاكر
وتأبى اهتضامي في جنابك همة تهزك عن الريح فرع أراك
وقد نام عني ظالم لي ذاعر لياهبة السيف الحسام دراكر

وفي غير ذلك كانت صحبته للوزراء والامراء والرؤساء صحبة مؤانسة ومنادمة ، وكان تعففه عما في ايديهم داعية لاكباره في صدورهم ، ورفعه عن مرتبة الملال من

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفوسهم ، فعاش فيهم عيشة النظير لنظيره ، وحفظ على نفسه كرامتها .

والمطلع على ديوانه يرى من خلال الاغراض التي نظم فيهـا الشعر انه لم يغادر شرقي الاندلس كثيراً ، وربما رحل الى غربيهـا في بعض الحاجات لزار اشبيلية ونواحيها ، ثم يرى انه أجاز الى عدوة المغرب الاقصى في حكم المرابطين وطالت غيبته عن الاندلس حتى تشوقها وتلهف الى العودة ، فهل كان سفره الى عدوة المغرب تطلباً لتصرف في خدمة المرابطين في دار سلطانهم كما فعل كثير من أدباء الاندلس ؟ هذا ما ينافيه قوله في كثير من المواضع وما اخذ به نفسه من التصون . ولعله كان في رفع ظلامة طال الامد على الفصل فيها ، حتى تبرم بالمقام وحنّ الى وطنه ، وفي ذلك يقول من قصيدة :

فيا لشجا قلب من الصبر فارغ   ويا لقذى طرف من الدمع ملآن
ونفس الى جو الكنيسة صبة   وقلب الى أفق الجزيرة حنـان
تعوضت من واهاً بآه ومن هوى   بهون ومن اخوان صدق بخوان
وما كل بيضاء بروق بشحمة   وما كل مرعى ترتعيه بسعدان
فياليت شعري هل لدهري عطفة   فتجمع أوطاري علي وأوطاني
ميادين أوطاري ولذة لذتي   ومنشـا شبابي وملعب غزلاني
كأن لم يصلني فيه ظبي يقوم لي   لماه وصدغاه براحي وريحاني
فسقياً لواديهم وإن كنت انما   أبيت لذكراه بغلة ظمآن
فكم يوم لهو قد أدرنا بافقه   نجوم كؤوس بين أقمار ندمان

وفي تشوقه الاندلس يقول ايضاً :

ان للجنة في الاندلس   مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب   ودجى ظلمتهـا من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا   صحت وا شوقاً الى الاندلس

وعاش ابن خفاجة بقية عمره في نسك وزهادة وحنين الى الصبا وذكرى لفقد أحبائه ولداته لتأخر اجله ، ولكن كل اولئك لم يسله عن اجتلاء محاسن الطبيعة ووصفهـا بابلغ القول حتى وافته منيته سنة ٥٣٣ بجزيرة شقر مسقط رأسه .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« شعره »

يعتبر ابن خفاجة من شعراء الطبقة الثانية في الاندلس اي بعد طبقة ابن هاني ، وان لم يكن له قريع فيها ، فهو لا يقل في جزالة لفظه وتصرفه في المعاني عن اكبر شاعر بعد ابن هاني ، وهو يفضل ابن زيدون في اختراعه كثيراً من المعاني الرائعة وحسن توليده لها ويفضله ابن زيدون في غلبة السهولة والانسجام على شعره .

وامتاز ابن خفاجة عن سائر شعراء الاندلس في حسن وصفه لمشاهد الطبيعة وكثرة تصرفه في معاني الوصف على كثرة ولوع شعراء الاندلس بهذا الفن من الشعر ، حتى عده أدباؤهم ومؤرخوهم فريد قطره ووحيد نسجه ، بل غالى بعضهم حتى جعله في هذا الباب مقطوع النظير في المشارقة والمغاربة ، فلا يدانيه أمثال ابن الرومي والبحتري وابن المعتز والصنوبري وكشاجم والمأموني من وصافي المشارقة ، ولا ابن هاني وابن دراج وابن وهبون وابن عمار والشنتريني والايادي وابن شرف وابن رشيق وابن حمديس من وصافي المغاربة ، وهو قول لا يخلو من شبهة ، ولا يقبل الا بعد مراجعة وتعقب . ولعلنا نشير الى ذلك بعد .

واذا حللنا — كما يقولون — شعره من حيث أغراضه ومعانيه والفاظه استطعنا ان نجمل ذلك فيما يأتي :

أغراض شعره اي أبوابه وفنونه وضروب مقاصده فيه .

(١) الوصف — لا يغلو من يقول إن جل بضاعة ابن خفاجة من شعره الوصف بانواعه فلا تكاد قصيدة او قطعة له تخلو منه وبخاصة وصف مشاهد الطبيعة ، وربما أحله من صدور قصائده محل النسيب وذكر الديار ، بل أدخله في كل شيء من أغراض الشعر حتى الرثاء ولذلك عد عند جمهور الادباء من اكبر وصاف الطبيعة مع انه وصف غيرها كثيراً من المشاهدات والأحوال ، الا ان وصف تلك هو الغالب عليه . ومن قرأ ديوانه وجد ان وصفه يتناول جملة أشياء .

فقد وصف من النبات وبقاعه الرياض والبساتين والربا المخضرة والاشجار والازهار وبعض الثمار .

ووصف من المياه ومايداخلها ، البحار وسفنها وزوارقها ، والانهار وشواطئها وصفاءها

وحصاها ، والجداول والنواعها ، والسحب والأمطار والثلج والبرق ، وما يشاكل ذلك من النار وضوئها وهو مغري بوصفها ·

ووصف من السماء غيمها وصحوها وشمسها والبدر والهلال والكواكب ذوات الصور والاسماء الشهيرة كالثريا والفراقد ، والليل وطوله وقصره وظلامه والسرى فيه وهو من أحسن واصفيه ·

ووصف من الحيوان الخيل وكلاب الصيد والذئاب والارانب والحيات ·

ووصف من الارض الجبال والاودية والديار والمنازل وقبور الموتى ·

ووصف من أحوال الانسان السواد والبياض والشيب والشباب ونبات العذار وسواد الخال والنوم وطيف الخيال ومعارك القتال ·

ووصف من الادوات السيف والرمح ومحك الذهب والكاس وآنية الشراب الخ ·

ولو شئنا ان نأتي لوصفه كل شيء بشاهد واحد من قوله لا تسع بنا مجال القول وعز على الطالب استحضاره ، ولكننا سنذكر بعد بعض شيء من وصفه مع جملة من شعره في الاغراض المختلفة ومن أراد الاستيعاب والتوسع فليقرأ ديوانه وهو مطبوع مشهور · ولم نأت بشيء مما ذكرنا الا بعد ان قرأناه في ديوانه ·

(٢) النسيب — اكثر نسيبه من نوع الغزل الخاص بذكر الشوق والغرام وذكر محاسن النساء والغلمان على طريقة المشارقة ، و يقل في كلامه النسيب بذكر ديار العرب ومنازلها في جزيرتها ووصف الأطلال والدمن والظعائن — وقد يستبدل بالنسيب الذي يمهد به للمدح في القصائد المطولة وصف الطبيعة ·

(٣) المدح — لم يتكسب ابن خفاجة بالشعر بمدح به الملوك والامراء · وتلك القصائد الطنانة التي تعد اطول قصائده انما مدح بها من ذكرنا إما استعداء على جائر عليه في امر ضياعه اواستصلاحاً لها ، وإما شكراً على يد ابتدأه بها ذوسلطان ، وإما وفاء بحقوق الصحابة واستبقاء لدواعي المودة ، و يدخل في معنى ذلك تهنئة صديق بارتقاء او قائد بفتح مدينة وفي ذلك يقول :

وأنشق لوعة اعرار نجد صبا نجد أصائلها شميا

وكنت رجوت ان اعتاض منه زعيماً او علياً او حليما
ولما ان نظرت مع الليالي فلم أنظر بهـا الا مليما
عيابا او كهاماً او جهاماً لئيماً او ذميماً او زنيما
شددت على القوافي كف حر كريم لا يسوغهـا لئيما
فما أطريه اذا اطريت الا حبيباً او حبيباً او حميما
ومطروراً أجرده صقيلاً ويعبوباً أكرّ به كريما

و يقصد بالحي ذا السلطان الذي يستعين به على حماية عقاره ويستشفعه في قضاء حاجته .

و يشهد له في تأييد دعواه هذه قول ابن بسام صاحب الذخيرة في ترجمته اياه (وكان مقيماً بشرقي الاندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهالكهم على اهل الادب) .

وابن خفاجة اذا مدح أجاد المديح وطال فيه نفسه ، واتى بمعان غريبة .

(٤) الرثاء — وهو من الاغراض التي اكثر فيها القول وأبدع فيهـا المعاني بعد الوصف . واكثر ما قاله منه في رثاء إخوانه ولداته لوفاتهم قبله وتعميره بعدهم وتوحده في قرن يغايرهم تربية وطباعاً ، ولذلك كان توجعه لفقدهم وأسفه على ماضي ايامه معهم من أبلغ كلامه اثراً في النفس وأهيجه للشجون .

وربما استهل بعض قصائده في الرثاء بما يناسب مذهبه في وصف الطبيعة كقوله :

الا ليت لمح البارق المتألق يلف ذيول العارض المتدفق
ويركب من ريح الصبا متن سابح كريم ومن ليل السرى ظهر أبلق
فيهدي الى قبر بحمص تحيـة متى تحتملها راحة الريح تعبق
فعندي لحمص اسـه نظرة لوعة وللنجم وهناً اي نظرة مطرق

وحمص هذه التي يذكرها اسم مدينـة اشبيلية لانه نزلها بعد الفتح جند حمص من اهل الشام .

وقوله وهو من بديع الافتنان من قصيدة يتصرف فيها بجملة فنون ويرثي إخوانه :

أفيها تؤدي الريح عرف سلام ... ومما يشب البرق نار غرام
وإلا فماذا أرج الريح سحرة ... واذكى على الاحشاء لفح ضرام
اما وجمانٍ من حديث علاقة ... يهز اليه الشيخ عطف غلام
تحلت به ما بين سلمى وسربع ... سوالف ايام سلفن كرام
لقد هزني في ربطة الشيب هزة ... أرتني ورائي في الشباب أمامي

الى ان يقول في الرثاء :

وقفت وقوف الشك بين قبورهم ... أعظمها من أعظُمٍ ورجام
واندب أشجى رنة من حمامة ... وأبكي وافضي من ذمام رمام
قضوا بين واد للسماح ومشرع ... وغارب عز في العلا وسنام

(٥) الشكوى والتوجع — وا كثر ما يكون منه ذلك في شكوى الشيب والكبرة وفوات لذات الصبا واعياء الجسم وموت الأحبة فمن ذلك قوله :

فمن مبلغ الحسناء عني انني ... خلعت نجاد السيف خلع التمائم
وكنت اذا ما أعضل الخطب لاجئاً ... الى كالئٍ من ضرب السيف عاصم
فها أنا لا أسرى أُواخي على السُّرى ... عِناناً ولا يُثنى تلوذ بقائم

وقوله :

الا ساجلْ دموعي يا غمامُ ... وطارحني بشجوك يا حمامُ
فقد وفيتهـا ستين حولاً ... ونادتني ورائي هل أمام
وكنت ومن لبـاناتي أُبَيْني ... هناك ومن مراضعي المدام
يطالعنا الصباح ببطن حزوى ... فينكرنا ويعرفنـا الظلام
وكان بهـا البشام مراح أنس ... فما ذا بعدنا فعل البشـام
فيا شرخ الشباب الا لقاء ... يبل به على يأس أوام
ويا ظل الشباب وكنت تندى ... على أفياء سرحتك السـلام

وقوله يندب الشيب ويأسف على فوات الشباب. (ويا أسفا على الشباب !) :

وما راعني الا تبسمُ كَبْرَة   تكررت لها وجه الفتاة تجهّما
فعفت غراباً بصدع الشمل ابيضاً   وكانَ على عهد الشبيبة اسحما
فآه طويلاً ثم آه لكبرة   بكيت على عهد الشباب بهـا دما
وقد صدئت مرآة طرفي ومسمعي   فما أجد الاشياء كالعهـد فيهما
كأن لم يشقني مبسم الصبح باللوى   ولم ارتشف من صدفة دونه لمى
ولم اطرق الحسناء تهتز خوطـة   وتسحب من فضل الضفيرة ارقما
ولا سرت عنها اركب الصبح اشهبا   وقدجئت شوقاً اركب الليل ادهما
ولا جاذبتني الريح فضـل ذؤابة   لبست بها ثوب الشبيبة مُعلما

وقوله في آخر عمره وهي من لزوم ما لا يلزم :

اي عيش او غذاء او رسنة   لابن احدى وثمانين سنة
قلص الشيب به ظل امرىء   طالما جر صباه رسنه
تارةً تسطو به سيئة   تسخن العين وأخرى حسنة

ARCHIVE

وقوله :

الا هرّس الاخوان في ساحة البلى   وما رفعوا غير القبور قبـابا
فدمع كما مع الغمام ولوعة   كما أضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتني في الديار عشية   تلذذت فيهـا جيئة وذهابا
اكر بطرفي في معاهد فتيـة   ثكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطالـ وقوفي بين وجد وزفرة   أنادي رسوماً لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصـبر طوراً بعبرة   أخط بها في صفحتي كتابا
وقد درستْ أجسامهم وديارهم   فلم أر الا أقبراً ويبـابا
وحسبي شجواً ان ارى الدار بلقعاً   خلاء واشلاء الصـديق ترابا

(٦) الفخر — واكثر فخره من نوع الفخر المحكي المزعوم المحول الذي لا يرجع فيه الشاعر الى منقبة معروفة عنه او منسوبة لآبائه ، فهو يفتخر بالشجاعة وقهر الاقران في مواطن القتال ونيل المجد بظبى السيوف وأسنة الرماح مع انه من ارباب الأقلام لا الحسام ·

نعم لا ينكر عليه فخره في بعض قصائده ومقطعاته بامتلاك ناصية الفصاحة في الشعر والكتابة لانها كل صناعته ومنتهى غايته ، ومع ذلك فهو لا يجيده في الجملة وانما يجيد الفخر أصحاب الهمم الطامحة او النسب الشريف ، وصاحبنا كان خليعاً في صباه متزهداً متعففاً في كهولته وشيخوخته، وكلتا الخصلتين مجلبة للخمول ، ولو كان له من الهمة وطموح النفس دون حاله من علو الكعب في الشعر والكتابة لافترع مرتبة الوزارة او الامارة كما فعل غيره من أمثال ابن عمار وابن زيدون .

(٧) الحكم والأمثال — يقل في كلام ابن خفاجة الحكم والأمثال العامة في سياسة الناس وتدبير المعيشة ، وان خاض في الحكم الخاصة بالزهادة والعزلة والاعتبار بالموت وريب الزمان .

(٨) الهجاء — وأقل ما في شعره الهجاء وهو لا يحسنه بطبيعته ، وانما يهجو من يكثر اعداؤه وحساده بمنافسته لهم ، وهو قد أراح نفسه بالعزلة وعدم التعرض لمزاحمة الشعراء والنظراء على أبواب الملوك .

(٩) محبة الوطن والشوق اليه — وابن خفاجة ممن غلب على قلبه حب وطنه فآثر ملازمته أكثر حياته ، ولقد قضت عليه بعض الضرورة بالجواز الى عدوة المغرب فما هو الا ان عبر الزقاق حتى ألهبت فؤاده لوعة الفراق ، وحن الى العيش بين الاهل والرفاق ، وخيل اليه ان حياته ودنياه هي الاندلس واهلها ، بل هي جنة الدنيا ومنية النفوس القصوى بل رغب بها عن الاخرى وصاح وشدا :

يا اهل اندلس لله دركم ماء وظل وانهار واشجار
ماجنة الخلد الا في دياركم ولو تخيرت هذي كنت اختار
لاتختشوا بعدها ان تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

وقال :

اجبت وقد نادى الغرام فاسمعا حشية غنائي الحمام فرجعا
فقلت ولي دمع ترقرق فانهمي يسيل وصبر قد وهى فتضعضعا
ألا هل إلى أهل الجزيرة أوبة فأسكن أنفاساً واهدأ مهجعا

وأغدو بواديها وقد نغم الندى ... معاطف هاتيك الربا ثم أفشما
أغازل فيهـا للغزالة سُنة ... نحط الصبا عنها من الغيم برقعا
وقد فض عقد القطر في كل تلعة ... نسيم تمشي بينهـا فتضوعا
وبات سقيط الطل بضرب مسرحة ... ترف بواديها ، وينضح أجرعا
وأين لنا دار الحي حبيبة ... وحسبك مصطافاً هناك ومربعا
لقد تركتني بين جفن جفا الكرى ... وجنب تلقّى لا يلائم مضجعا
اقلب طرفي في السماء لعلني ... أشيم سنا برق هناك تطلعـا

وقد مر بك من هذا الباب ما فيه غناء . « تبحث صلة »

القاهرة : احمد الاسكندري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضحك الجاحظ (١)

— « » —

أدرج بكم من أفق من آفاق الجاحظ تتسع فيه أفياء الحقيقة الى أفق ينبسط فيه سلطان الجمال ، ان قطع عضو من أعضاء الحيوان ، او إلقاء السم على هذا الحيوان او استقصاء صفاته اودفنه في النبات اوذوقه او بعج بطنه او جمع أضداده في إناء ، ان هذا كله لاتلتمس فيه الا الحقيقة ، وسواء أكانت هذه الحقيقة بنت الحواس أم كانت بنت العقل انها جافّة واي طراوة في تجريب على ضب او على حية او على ظليم او على خنفساء او على عقرب او على جُرَذٍ او على نملة ، ولكن عبقرية البشر لا يتعاظمها تصوير الحقائق في صورة يتغير فيها الجفاف الى الطراوة واليبس الى الفضاضة وهذا التصوير انما هو من عمل الفن ، فاذا أردنا ان ندرك قدرة الجاحظ عليه لزمنا ان نجول الى الاحاطة بناحية من نواحيه لنشيء لنا لذة تروّض قوانا العقلية فيخرج العقل من هذه الرياضة أقوى سلطاناً وأمرن طبيعة وأغنى مادة .

فها انا أخرج بكم من باب علم الجاحظ الى باب فنه . ولا يخطرن على بال احداث العلم والفن ضدان فالحقيقة أخت الجمال واذا أردنا ان نعلم مقدار اتصالها بالجمال فلنسمع ماقاله واضع علم الكيمياء الحديث ، قال (Lavoisier) : « ولما كانت الالفاظ هي التي تحفظ الأفكار وتنقلها نشأ عن ذلك اننا لا نستطيع تجويد اللغة الا اذا جوّدنا العلم ، ولا نستطيع تجويد العلم الا اذا جوّدنا اللغة ، ومهما كانت الامور أكيدة ثابتة ومهما كانت الأفكار التي تولدها هذه الأمور صحيحة اننا اذا لم يتهيأ لنا بيان صحيح يعرب عن هذه الأفكار لانتقل الا انفعالات خاطئة .

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

هذا مقدار عطف عالم من أجل العلماء على الفن والبكم رأي اديب بفصح عن عطفه على العلم فقد تمنى (Maurice Donnay) في خطاب خطبه في الأكاديمية ان ينشأ الادب والعلم معاً كما ينشأ الشقيقان . —

فالعلم والفن صنوان ، فلنتحول الى البحث عن فن الجاحظ ، اول جهة من جهات هذا الفن تهكم الجاحظ وقبل ان أتعرض للكلام على تهكمه لا بأس بامضاء القول في اضاحيك الجاحظ .

فالجاحظ ولع شديد بالضحك والاضحاك لكأنما لا ينظر الى الحياة الا من وجهها المشرق وأي شيء أدل على فرط اهتمامه بالضحك من قراءة هذه السطور التي تمثل لنا مقدار تفننه في بيان وجوه استحسانه وتأثيره في الطباع . قال ابو عثمان[1] :

« ولو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المضحك لما قيل للزَّهْرة والحِبَرة والحَلْي والقصر المبني كأنه يضحك ضحكاً وقد قال الله جلّ ذكره : وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيى . فوضع الضحك بحذاء الحياة ، ووضع البكاء بحذاء الموت ، وانه لا يضيف الله الى نفسه القبيح ولا يمنّ على خلقه بالنقص وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيماً ومن مصلحة الطباع كبيراً وهو شيء في اصل الطباع وفي اساس التركيب لان الضحك اول خير يظهر من الصبي وقد تطيب نفسه ، وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمي اولادها بالضحاك وببسام وبطلق وبطليق ، وقد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وفرح وضحك الصالحون وفرحوا واذا مدحوا قالوا : هو ضحوك السن ، و بسام العشيات وهش الى الضيف ، وذو أريحية واهتزاز ، واذا ذموا قالوا : هو عبوس وهو كالح وهو قطوب وهو شتيم المحيا وهو مكفهر ابداً وهو كريه ومقبض الوجه وحامض الوجه ، وكأنما وجهه بالخل منضوح وللضحك موضع وله مقدار وللمزح موضع وله مقدار متى جازهما احد وقصر عنهما احد صار الفاضل خطلاً والتقصير نقصاً ، فالناس لم يعيبوا الضحك الا بقدر ولم يعيبوا المزح الا بقدر ومتى أريد بالمزح النفع ، وبالضحك الشيء الذي جعل له الضحك ، صار المزح جداً والضحك وقاراً » .

(١) كتاب البخلاء (مطبعة الجمهور ص ٦) .

لم تفلت الجاحظ حجة من الحجج في دفاعه عن الضحك فهو يستعين بكل شيء في هذا الدفاع ، يستعين بالأدب وبالقرآن وبالطب وبالنبي وبالصالحين ، وهذه طريقته في تقرير معنى يستأنس به ، وما هذا المعنى في مقامنا الا الضحك فالجاحظ مولع بالضحك ولكنه لا يريد ان ينفرد به وانما يحاول ان يشارك فيه قرّاء كتبه فكأنما يحاول ان يحمل هؤلاء القراء على النظر الى الحياة من الوجه الذي ينظر اليه منها فهو يحرص الحرص كله على إضحاك القارئ خوفاً من ملالته وسآمته فيصرف كل همه الى إدخال السرور على قلبه والنشاط على ذهنه بما يهتدي اليه من النوادر والغرائب ولقد وضح حرصه هذا في مواطن كثيرة من كتبه وخاصة كتاب الحيوان ؛ وما خصصت هذا الكتاب الا لجعله فيه للملح أوفى نصيب فقبل ان يتفرغ للبحث عن الضب والغول والجن والهدهد والتمساح والظبي والأرانب والظربان وغير ذلك يستوقف القارئ في مقدمة كلامه ويساهده على إضحاكه بشيء من النوادر والأخبار او الاشعار خوفاً من إضجاره فمن المواطن التي استوقف فيها القارئ قبل ان يندفع في مباحث جافة يعالج فيها بالإضحاك موطن يقول فيه [1] :

« وليس من هذه الأبواب باب الا وقد يدخله نتف من ابواب أخر على قدر ما يتعلق به من الاسباب ويعرض فيها من التقصير والعلل ان تكون بها أشد انتفاعاً ، وعلى اني ربما وشحت ، فصلت فيه بين الجزء والجزء بنوادر كلام وطرف أخبار وغرر اشعار مع طُرف مضاحك ولولا الذي نحاول من استمطالك على استمتاع انتفاعكم لقد كنا سمّجنا وسمّجنا شأن كتابنا » .

فأنتم ترون في هذا الكلام مقدار اعتنائه بالاشارة الى مضاحكه والتنبيه عليها . ولقد فصّل مذهبه أوضح تفصيل في قوله [2] :

— باب ذكر الحمام —

« وان كنا قد أمللناك بالجد والاحتجاجات الصحيحة والممزوجة لتكثر الخواطر وتشحذ العقول فاستنشطنك ببعض البطالات وبذكر العلل الظريفة والاحتجاجات الغريبة

(١) كتاب الحيوان الجزء السادس ص ٦ .
(٢) » » » الثالث ص ٢ .

فرب شعر يملح بفرط غباوة صاحبه مالا يبلغه أحر النوادر وأجود المعاني وانا استظرف امرين استظرافاً شديداً : احدهما استماع حديث الأعراب والأمر الآخر احتجاج متنازعين في الكلام وهما لا يحسنان منه شيئاً فانهما يثيران من غريب الطيب ما يضحك كل ثكلان وان تشدد وكل غضبان وان أحرقه لهيب الغضب ولو ان ذلك لا يحل لكان في باب اللهو والضحك والسرور والبطالة والتشاغل مايجوز كل فن وسنذكر من هذا الشكل عللاً ونورد عليك من احتجاجات الاغبياء حججاً فان كنت ممن يستعمل الملالة وتعجل اليه السآمة كان هذا الباب تنشيطاً لقلبك وجماماً لقوتك ولنبتدئ النظر في باب الحمام فقد ذهب الكلال وحدث النشاط وان كنت صاحب علم وجد وكنت ممرناً موقحاً وكنت الف تفكير وتنقير ودراسة كتب وحلف تبيين وكان ذلك عادة لك لم يضرك مكانه من الكتاب وتخطيه الى ما هو أولى بك وعلى اني عزمت والله الموفق اني أوشح هذا الكتاب وأفصل أبوابه بنوادر من ضروب الشعر وضروب الأحاديث ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب الى باب ومن شكل الى شكل فاني رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة والأغاني الحسنة والأوتار الفصيحة اذا طال ذلك عليها وماذلك الا في طريق الراحة التي اذا طالت أورثت الغفلة واذا كانت الأوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة كان هذا التدبير لما طال وكثر أصلح وما غايتنا من ذلك كله الا ان تستفيدوا » .

والجاحظ مقامات كثيرة أشار فيها الى ولعه بالاضحاك اكتفي بالقدر اليسير الذي ذكرته تفادياً من التطويل . ولقد كان في تكريره هذه الاشارة دليل واضح على شغل ذهنه بالاضحاك ، واذا علمنا ان الجاحظ عاش في عصر نقلت فيه كتب الهند وترجمت حكم اليونانيين وحولت آداب الفرس ، اذا علمنا ان عصر الجاحظ كان عصر حساب وطب ومنطق وهندسة وفلسفة وفلاحة وتجارة وغير ذلك من الأبواب التي قد تتعب الأذهان وتجهد العقول ، اذا علمنا هذا كله لم نعجب من ميل الجاحظ الى الاستنشاط ببعض البطالات وبذكر العلل الظريفة والاحتجاجات الغريبة .

ولكن العلم وحده وما طبع به من طابع جاف لم يكن السبب الأكبر الذي من اجله لجأ الجاحظ الى الاضحاك حرصاً على نشاط القارئ ، ألم يضع كتاب البخلاء الذي

قال فيه [١] :

« ولك في هذا الكتاب ثلاثة اشياء : تبيُّن حجة طريفة ، او تعرف حيلة لطيفة او استفادة نادرة عجيبة ، وانت في ضحك منه اذا شئت وفي لهو اذا مللت الجد » ٠

ولقد ذهب بعضهم الى ان ما تضمنه هذا الكتاب من احتجاج الاشحاء ونوادر أحاديث البخلاء لا صحة له وانما الجاحظ توخى في هذا كله مجرد الضحك والاضحاك على اني لا أستغرب شيئاً مما ورد في كتاب البخلاء ٠ فقد تكون نوادره صحيحة ، ومن عرف اخبار البخلاء وجالسهم وخالطهم لا يستبعد كتاب الجاحظ في احتجاجهم ونوادرهم فضلاً عن ان الجاحظ لم يخترع الاسماء اختراعاً فقد قال في مقدمة البخلاء [٢] :

« وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافةً الى أربابها واحاديث كثيرة غير مضافة الى اربابها ، اما بالخوف منهم واما بالاكرام لهم » ٠

وكيف كان الأمر فلا يخرج كتاب البخلاء من الاضحاك كما لم يخرج طبع الجاحظ من الضحك والاضحاك وربما ذهب في هذا الباب مذهباً ابعد فعمد الى الادب المجرّد وسمى الاشياء باسمائها دون شيء من التورية وسيأتي الكلام على هذا المذهب ٠

يستخرج من كل ما تقدّم ان الجاحظ مولع بالضحك والاضحاك وقد اجتمع له في هذا المعنى ما لا يسهل اجتماعه لغيره : خلقة مشوّهة تعين على المزح والظرف وربما كانت مصدر الضحك والاضحاك وطبع على الهزل فالجاحظ مطبوع على الهزل لا تفوته النكتة ولو في ديوان الخلفاء وانتم تعلمون ما صنعه بابن العيناء لما تقلد خلافة ابراهيم بن عباس الصولي على ديوان الرسائل ، مولع بالنادرة ولوجلبت له هذه النادرة اشد الأذى ولم يفتكم ما فعله بمحفوظ النقاش فقد اكل اللبأ كله ولم يعبأ بفالجه طمعاً في الضحك والنشاط والسرور ومن فرط اهتمامه بالظرافة يخالط اهل الهزل و يروي من النوادر ولو على نفسه من هذا القبيل قوله :

فأما الذي اصابني انا من الذبان فاني خرجت امشي من عند ابن المبارك أريد دير

(١) كتاب الحيوان الجزء الثالث ص ٥ ٠

(٢) « « « ص ٨ ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الربيع ولم أقدر على دابة فمررت في عشب ونبات ملتف كثير الذبان ، فسقط ذباب من ذلك الذبان على أنفي فطردته ، فلم اقدر ، فتحول الى عيني فزدت في تحريك يدي ، فتنحى عني بقدر شدة حركتي وذبي عن عيني ، وللذبان الكلأ والغياض والرياض وقع لبس لغيرها ثم عاد اليّ لعدت عليه ، ثم عاد فعدت باشد من ذلك فلما عاد استعملت كمي فذببت به عن وجهي ثم عاد وانا في ذلك أحث السير اؤمل بسرعة انقطاعه عني فلما عاد نزعت طيلساني من عنقي فذببت به بدل كمي فلما عاود ولم اجد له حيلة استعملت العدو ، فعدوت منه شوطاً لم اتكلف مثله مذ كنت صبياً فتلقاني الاندلسي فقال لي : مالك يا اباعثمان ، هل من حادثة ؟ قلت : نعم ، أريد ان اخرج من موضع للذبان عليّ فيه سلطان فضحك حتى جلس وانقطع عني وماصدقت بانقطاعه عني حتى تباعد جداً[1] » .

كان الجاحظ بالاضحاك اين يؤن وقد بسط مذهبه هذا في اكثر كلامه ولست في حاجة الى ذكر نادرة من نوادره في اثناء كلام له على بعض الحيوان او على الفلسفة اوعلى الدين فان هذه النوادر مبثوثة في كتبه والحقيقة ان الذهن قد تتعبه امور العلم فيحتاج الى التنشيط فبين الجاحظ بعض القول في العقرب وفي مقدار الانتفاع برمادها وفي طلبها الانسا ونحوه وفي استخراجها من بيوتها اذ تمن على باله نادرة سمعها من ابي عبيدة فيقول[2]

« قال ابوعبيدة : لسعت اعرابياً عقرب بالبصرة فخيف عليه واشتد جزعه ، فقال بعض الناس : ليس شيء خيرله من ان تفسل له خُصية زنجي عَرِق ، وكانت ليلة عميقة ، فلما سقوه قطب فقيل : طعم ماذا تجد ، قال : طعم قِربة جديدة » .

أو يخبره محمد وعلي ابنا بشير بهذا الخبر فيرويه فيقول[3] :

« ان ظئراً لسليمان بن دباس لسعتها عقرب فملأت الدنيا صراخاً ، فقال سليمان : اطلبوا لها هذه العقرب فان دواءها ان تلسعها لسعة أخرى في ذلك المكان ، فقالت العجوز : قد برئت وقد سكن وجعي ، لاحاجة لي في هذا العلاج ، قال : فأتوه بعقرب لا والله ماندري أهي تلك ام غيرها ، فأمر بها فأمسكت ، فقالت : نشدتك بالله وبالبنين فأرسلها

---

(١) كتاب الحيوان الجزء الثالث ص ١٠٧ .

(٢) « « « الخامس ص ١١١ .

(٣) « « « « «

عليها ، فلسعتها ، فغشي عليها ومرضت وتساقط شعر رأسها ، فقيل لسليمان في ذلك فقال : يامجانين لا والله ان ردّ عليها روحها الا اللسعة الثانية ولولا هي لقد كانت ماتت » .

ولا شك في أن أمثال هذه النوادر تخفف من مؤونة البحث والتنقير والتعمق والتدقيق ، واذا جاز لنا ان نؤاخذ الجاحظ بشيء في هذا الباب فانما نؤاخذه في بعض الاحايين بفرط ولعه بالاضحاك فقد يخرجه غلوه في هذا المعنى عن المقدار فيرسل مثلاً في كلامه على بعض الحيوان أحاديث ونوادر من الشعر قد لا تتعلق بهذا الحيوان ، فكأنما الجاحظ يريد ان يضحك القارئ ويسره كيف كان الامر ، فهو يتعمد هذا الاضحاك أحياناً وهنا موطن الكلفة وموقع الافراط فاذا تعمدنا الاضحاك فقليلاً ما نضحك والنادرة ان لم تكن بنت الطبع كانت فاترة .

وهذا المذهب الذي يلجأ اليه ليس فيه شيء من قوارص الكلام وربما أوحاه اليه عصره وطبعه وقد قلّد فيه الاوائل وسمعت قوله في هذا المعنى : واذا كانت الاوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة ... ولكننا لا ندري من هم الاوائل ، أهم العرب أنفسهم ؟ ام هم اليونانيون ام الفرس ام اهل الهند ؟ وفي كل حال لم يتوخ الجاحظ في إضحاك القارئ الا التنشيط والاستجمام وسنتعرض في الاسبوع الآتي للمذهب المبني على القوارص وهو التهكم .

دمشق : في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣١ .

—«○»—

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحلاج [1]

رجلٌ شعوبيٌ عُرف بالكتابة والشعر والتصوّف والزهد ثم شاع عنه ادعاء الربوبية (والعياذ بالله) اسمه الحسين بن منصور ويكنى بابي مغيث . ولد في البيضاء بفارس من أعمال سجستان ونشأ بواسط والعراق وهو مجهول تاريخ الولادة ولا نعلم شيئاً عن كيفية نشأته ودراسته قبل ان ذهب الى مكة المكرمة فقد اقام فيها مجاوراً زمناً طويلاً وقُتل في بغداد على عهد خلافة المقتدر ووزارة حامد بن العباس وذلك يوم الثلاثاء لسبع او ست بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ للهجرة على ما سيجيء تفصيله وهو احد الذين قُتلوا في زمن العباسيين لقولٍ روي عنهم او شعر نُسب اليهم كبشار بن برد الذي قتله المهدي لقوله :

لا يؤيسنك من مخدّرةٍ　　قولٌ تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة　　والصعب يركب بعدما جمحا

وكصالح بن عبد القدوس الذي اتهم عند الخليفة بالزندقة فأنكرها وأصرّ على صحة عقيدته وكان شيخاً مسناً فاستتابه وعفا عنه حتى اذا خرج من حضرته قال القاضي وكان يريد قتله هذا يا امير المؤمنين الذي يقول :

والشيخ لا يرجع عن غيه　　حتى يوارى في ثرى رمسه

فكيف يتوب عن شيء قد ألفه فاسترده الخليفة وامر بصلبه فصُلب .

وهكذا جرى بالحلاّج فانه اتهم باقوال داعية للشبهة صادرة عن لسانه وابيات شعر منسوبة اليه فيها ما يدعو الى الشك والارتياب فأخذ ثم جودل فامتحن فضُرب فعذب ثم

---

(١) مأخوذ من حلج القطن اي تجريده من قشوره وبزوره وتنقيته على ما هو معروف قبل لقب بذلك لانه جاء حلاجاً في دكانه وكلفه الذهاب في غرض له فمضى الرجل وعاد فوجد قطنه كله محلوجاً .

قتل وشهّر للناس وكان كل ذلك جائزاً مألوفاً في ذلك العهد عهد السيطرة على الآراء والضمائر . واخذ الناس حتى بالشبهات صيانة لحوزة وزوداً عن العقيدة ولاسيما بعد ان ظهر من الاباضية والشراة وسائر الخوارج واهل المذاهب الباطنية ماظهر مما أزعج الاسلام وارمضه ردحاً طويلاً وهو لايزال في ريق شبابه ومقتبل ازدهاره .

ولقد صحب الحلاّج حال حياته القاسم بن الجنيد والثوري والحسن البصري وعمرو بن عثمان المكي والفوطي وتتلمذ على بعضهم وبعد ان مات على هذه الصورة قال عنه ابو العباس ابن عطاء ومحمد بن حنيف وابو القاسم النصراباذي وغيرهم كثيرون انه طاهر الجيب نقي الصحيفة صحيح العقيدة وانه احد الاقطاب الربانيين والجهابذة المحققين . والحق يقال انه لم يوجد احد تباينت فيه آراء العلماء وتضاربت أقوال المؤرخين وارباب السير والمتفقهين كالحلاّج فانهم اختلفوا في وصف حاله وقاله والحكم على سريرته وعلانيته اختلافاً بعيداً حتى تعذّر على المستشرق المحقق الدقيق استجلاء الواقع بما امعن في مطالعاته و بالغ في درس واستقصاء ما كتب عنه وله وعليه من الكاتبين عنه — على ماحقق العلامة السيد ماسينيون الفرنسي قد بلغوا حتى هذا القرن الستمائة والستة وثلاثين مابين عربي وفارسي وهندي ومغربي واوروبي — فالعباس بن سُريج كان يقول اذا سئل عنه « هذا رجل خفي عني حاله فلا اقول فيه شيئاً » بينما نجد ابن خلكان على علمه وفضله يصرح بتسوئته و يقول بان اكثر علماء زمانه افتوا باباحة دمه ثم لم تبرح ان ترى القُشيري محبذاً كلامه وآراءه مثنياً عليه مزكياً له ، و يتابعه في ذلك الامام الغزالي الشهير الذي افرد للكلام عنه فصلاً طويلاً ضافي الذيل خرّج فيه ما كان داعياً الى الشك من كلامه تخريجاً حسناً وبرّأ ساحته من كل ما استنكره الناس ناسباً كل ذلك الى شدة الوجد في الكمالات الالهية والتوله في جمال صفاتها المطلق . اما ابن الاثير والقزويني وغيرهما ممن تابعها فيقولون انه كان في بدء نشأته زاهداً متصوفاً يظهر الكرامات ويخترع الآيات و يأتي بالخوارق والمعجزات حتى انه كان يركب الاسد ويتخذ الحية سوطاً و يأتي بفاكهة الشتاء في الصيف وبفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده في الهواء فيعيدها مملوءة دراهم يسميها دراهم القدرة مكتوباً عليها «قل هو الله احد» ويخبر الناس بما اكلوه وماصنعوه في منازلهم ومشاغلهم — كما كان يفعل الحاكم بامره الفاطمي في مصر عندما ادعى الالوهية فافتتن به خلق

كثير واعتقدوا فيه الحلول فقال بعضهم انه رب قدير وقال غيرهم انه ولي كبير وقال آخرون انه ساحر مشعوذ كذاب تطيعه الجن والعفاريت فتأتيه بالفاكهة في غير اوانها الى غيرذلك من متلونات الأقاويل مما تطيش ببعضه الألباب وتحار بجزء منه المدارك . ومن المأثور من اقواله اثناء تواجده في محبة الله عزَّ وجل :

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا

فالحلاّج هذا على مارأيت اختطَّ طريقةً من الشعر لم يسبقه اليها سواه وانما تابعه عليها بعد، كثيرون من كبارالمتصوفين الروحانيين كالامام بن الفارض المصري صاحب الديوان المشهور والشيخ محيي الدين بن عربي[1] وغيرهما ممن اتخذوا الشعر وسيلةً لبيان تجردهم من الدنيا وولوعهم بكمالات الله ووصفها وصفاً يدعو الى الحيرة بتفسير مايبدونه من العوالم المألوفة عرفاً وعقلاً على نحو قول الحلاّج هذا :

عجبت منك ومني افنيتني بك عني
ادنيتني منك حتى ظننتُ انك اني

وقوله وهو عسيرالتفسير جداً على من لم يطلع منه او من اخذ عن يديه على مايريد :

ارسلت تسأل عني كيف كنتُ وما لاقيتُ بعدك من همٍّ ومن حزنِ

(١) ذكره صفي الدين ابن ابي المنصور كقطب من الاقطاب الربانية وقال عنه الذهبي انه لولا شطحه في الكلام لم يكن به بأس . ولعل ذلك في حالة سكره بالمحبة وغيبوبته . ولد بمرسية سنة ٥٦٠ وتوفي في دمشق سنة ٦٣٨ للهجرة . ومن شعره الذي يجري مجرى نظم الحلاّج قوله :

قلبي قطبي وقالبي اجفاني سرّي خضري وعينه عرفاني
روحي هارون وكليمي موسى نفسي فرعون والهوى هاماني

ومن قوله في الغزل القدسي :

مروا وظلام الليل ارخى سدوله فقلت لها صبّاً غريباً متيما
فأبدت ثناياها واومض بارقٌ فلم ادر من شق الحنادس منهما
وقالت اما يكفيه اني بقلبه يشاهدني في كل وقت أماما

ARCHIVE

لا كنتُ ان كنتُ ادري كيف كنتُ ولا كنتم اذا كنتُ ادري كيف لم اكنِ

وكقول ابن الشلمغاني[1] وهو يدلّ على مذهب الحلول الذي تبرأ منه ابن الفارض في قصيدته التائية :

بكمُ اتحدث هوًى فلو حييتكم قلت السلام عليّ اذ انتم انا

والذي دعانا الى ترجمة الحلاّج في هذه المجلة انما هو هذه الجهة من جهات حياته اي كونه اديباً متكلماً ينظم شعراً عربياً خالص العروبة لامغمز فيه ولالحن يذهب فيه مذهباً غريباً يرمي الى مرامٍ روحانية كلها رموز واشارات لاسبيل الى تفسيرها تفسيراً جلياً جازماً

(١) هو ابوجعفر محمد بن علي الشلمغاني الكاتب المعروف بابن ابي العزاقر ولد في شلمغان ولا يُعرف تاريخ ولادته ولا كيفية تعلمه ودراسته وغاية ماعلمناه في بدء امره اتصاله بابي القاسم بن روح الذي يسميه الامامية الباب وكان من خواص الوزير حامد بن العباس ثم تفارقا واتصل ابن الشلمغاني بالمحسن بن ابي الحسن بن الفرات في وزارة ابيه الثالثة للمقتدر فشاع عنه اذذاك ادعاء الربوبية واحداث مذهب جديد فطُلب في وزارة الخاقاني فلم يوجد بل فرّ الى الموصل واستتر هناك عند ناصر الدولة الحمداني ولما احسّ بانقطاع الطلب عاد الى بغداد سنة ٣٢٢ وتبسط في اظهار مذهبه حتى قال عن نفسه انه رب الارباب وظهر له اشياع فقبض عليه الوزير ابن مقلة في شهر شوال من تلك السنة وأخذ معه ابن عبدوس وابن ابي عون ثم ضبط من داره رقاع ورسائل يخاطبه بها سيدوه خطاب العباد لمعبودهم فعرضت الخطوط على الناس فعرفوها واقرّبها ابن الشلمغاني ولكنه انكر ادعاء الربوبية والخروج عن السنة ولما أُمر صاحباه بصفعه صفعه ابن عبدوس وامتنع ابن ابي عون مقبلاً لحيته ورأسه ثم قال « الهي وسيدي ورازقي » بعد ان الرجل ردّ دعواه ولبث مصراً على الانكار بحضرة الخليفة الراضي بالله وجمع غفير من الفقهاء وبعد اخذ وردّ طال امره أفتى هؤلاء باباحة دمه ودم كل من ابي عون والحسين بن القاسم بن وهب الذي وزر للمقتدر وقد وجد بخطه وتوقيعه كتاب الى ابن الشلمغاني يعترف فيه بربوبيته فصلب هو وابوعون في بغداد وأحرقا بالنار وكان الحسين في الرقة فقتل هناك وحمل رأسه الى بغداد وكان ذلك في شهر ذي القعدة من سنة ٣٢٣ هجرية وهذه الحادثة تشاكل من اكثر وجوهها حادثة الحلاّج وكلتاهما وقعتا في عصر واحد وبين الاولى والثانية ثلاثة عشر عاماً فقط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيه مقنع لذوي الالهام كأنما القصد منها منذ إنشائهـا ان تكون كالأحاجي مغلقة مبهمة وان كانت منسجمة الألفاظ صحيحة التراكيب كقول الحلاّج عندما أُخرج بباب الطاق للتعذيب والقتل :

نديمي غير منسوب ۔ الى شيء من الحيف
سقاني مثلما يشر ۔ ب فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس ۔ دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح ۔ مع التنين بالصيف

وكان قد قال قبلما فارق الحبس « حسب الواحد افراد الواحد له » وكلا القولين مما لا يستطاع دركه واستجلاء معناه بخلاف ماقاله وهو على الخشبة حيث كانت روحه تفيض بين السوط والسيف :

طلبتُ المستقرّ بكل ارضٍ ۔ فلم أرَ لي بارضٍ مستقرا
اطعتُ مطامعي فاستعبدتني ۔ ولو اني قنعت لكنتُ حرا

وهو قول بليغ واضح القصد جليّ المعنى يعرب عن زيادة طموح صاحبه الى المجد وحرصه على التفوق والشهرة ، ثم ينمّ في الشطر الاخير منه عن ندمه واسفه لاقدامه على المركب الخشن الذي اختاره سلماً يرقى به الى ذروة أمنيته وهي جلب إعجاب الناس وحيرتهم وتوخي تلفتهم عن طريق الاغراب في الأقوال والشذوذ في الأفعال مما ادّى به اخيراً الى تلك الخاتمة التعسة الاليمة وجعله في التاريخ علماً يستحق الرثاء ازاء ما كابده من ضروب المحنة واصناف البلاء .

فالحلاّج إذن شاعرٌ له مزية على غيره هي تفرده بطريقة اختطها لنفسه يريد منها امراً خاصاً خفيت حقائقه عنا وان كنا نستخرج منها هنا حبّ الاشتهار عن طريق الفلسفة في العقائد . ولكي يتسنى لنا تصوير حالة الرجل لقرائنا الافاضل من حيث خلقه وحذقه واقتداره العجيب على إدهاش معاصريه باظهاره غرائب الاعمال وخوارق العادات والشذوذ في سائر مناحيه الكلامية والمعاشية نبسط لهم هنا ملخص ماروى الثقات من سيرة حياته فنقول :

بعد أن قدم الحلاج من خراسان الى العراق — وكان اذذاك مجهولاً خامل الذكر —

أزمع الرحلة الى مكة المكرمة فأقام بها على ماقيل سنةً كاملة في العراء لا يستظل تحت سقف وكان يصوم بياض نهاره حتى اذا أمسى احضر له القوّام ماء وقرصاً من الخبز فيشرب الماء ثم يعضّ من القرص ثلاث عضات ويترك الباقي · وكان شيخ الصوفية بمكة اذ ذاك عبدالله المغربي فلما اشتهر امر الحلاج اخذ اصحابه ومشى الى زيارته فوجده في جبل ابي قبيس جالساً على صخرة مكشوف الرأس حافي القدمين يتصبب العرق من جسمه متتابعاً فعاد باصحابه من حيث اتى ولم يكلمه · بل قال عنه لسائليه « هذا رجل يتقوى على قضاء الله فلسوف يبتليه سبحانه بما يفوق صبره وقدرته » ومنذ ذلك الحين شاع ذكره وذاع امره واخذ يتقول عنه الناس اموراً كلها غرائب وأعاجيب · قيل انه خرج يوماً من الحمام فلقيه بعض المازئين به المخالفين له فصفعه صفعةً شديدة فقال يا هذا لمَ صفعتني · قال الحق أمرني بذلك فقال بحق الحق اردفها باخرى فلما رفع يده يبست · وقال القزويني لما ظهر قوله « انا الحق » وتكلموا فيه قالوا له تداركاً للامر قل « انا أُلحَقُ » بهمز الألف وتخفيف القاف فقال لا اقول الا انا الحق فأساؤا الظن فيه وقال له احدهم ان كنت صادقاً فامسخني قرداً فقال لو هممت بذلك لكان نصف العمل مفروغاً له · ومما قاله في استنكار الناس لقوله انا الحق :

سقوني وقالوا لا تغنِّ ولو سقوا   جبال حنينٍ ما سُقيتُ لغنَّتِ
تمنَّت سليمى ان نموت بحبها   واهون شيء عندنا ما تمنَّتِ

ومما قاله متزهداً :

دنيا تخادعني كأنـ   ـني لست اعرف حالها
حظر المليك حرامها   فانا اجتنبت حلالها
فلئن طلبت زواجها   حتى اردت وصالها
ورايتها محتاجةً   فوهبتُ جملتها لها

قال بعضهم لقيتُ الحلاج فأنشدني :

ولي نفس ستتلفُ اولترقى   لعمر ابي الى امر عظيم

وهذا مما يؤيد القول ايضاً انه من اولئك الافذاذ الشديدي الطموح الى عالم الظهور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاشتهار ولو عن هذا الطريق الوعر المسلك فمثر ومن لم يسلك الجدّد هيهات ان يأمن العثار .

قال عبدالله محمد بن حبيب دخلتُ على الحلاج وهو محبوس مقيد فرأيته يبكي ولما أدركته الصلوة رأيته نهض وقد سقطت عنه القيود فصلى . فقلت ياهذا لم لم تخلص نفسك فقال ما انا بمحبوس ثم انشد :

والله لو حلف العشاق انهمُ ... موتى من الحب او قتلى لما حنثوا

قوم اذا هُجروا من بعدما وُصلوا ... ماتوا وان عاد وصلٌ بعده بُعثوا

ترى المحبين صرعى في ديارهم ... كفتية الكهف لايدرون كم لبثوا

ثم قال : ياأبن حبيب لايكون الحزن الا لفقد محبوب وفوات مطلوب وهمّ الناس على قدر احوالهم واحوالهم مطبوعة بعلم الغيب وعلم الغيب محجوب عنهم . فالخلق كلهم حيارى وأنشأ يقول :

أنين المريد لشوق يزيد ... انين المريض لفقد الطبيب

قد اشتد حال المريد فيه ... لفقد الوصال وبعد الحبيب

ثم قال ايضاً ياابن حبيب حججت الى زيارة القدس فلم اجد لقدمي موطناً من كثرة الزائرين فوقفتُ وقفة المبهوت فنظر اليّ نظرة فاذا انا متصل به ثم قال من عرفني ثم أعرض عني ؟ فقلت :

عذابه فيك عذبٌ ... وبعده عنك قربُ

وانتَ للعين عينٌ ... وانت للقلب قلب

حتى من الحب اني ... لما تحب احب

وقيل في سبب قتله انه نقل عنه الى الوزير حامد بن العباس انه يحيي الموتى وان الجن يخدمونه ويحضرون له مايشتهي وان نصراً حاجب الخليفة يقول بقوله ويميل الى رأيه فالتمس الوزير من الخليفة المقتدر ان يسلّم اليه والحّ في ذلك كل الالحاح فسلّم اليه على الرغم من نصر ودفاعه فأخذه حامد واخذ معه انساناً يُعرف بالسمري وغيره ممن يعتقدون انه اله فقررهم فاعترفوا بربوبيته وانه يحيي الموتى وقابلوا الحلاج على ذلك فانكره وقال حاشا لي ان أدعي الربوبية او النبوة انما انا رجل اعبد الله عز وجل فاحضر حامد القاضيين

ابا عمرو ابن العلاء وجعفر بن بهلول وجماعةً من وجوه الفقهاء فاستفتاهم فما أفتوا بشيء بل قالوا لايجوز قبول من يدعي عليه الا ببينة او إقرار وكان حامد يخرج الحلاج مراراً الى مجلسه فيستنطقه فلا يصدر عنه ما يخالف الشرع او يوجب المؤاخذة وطال الامر على ذلك والوزير مجدٌّ في امره يلتمس علة ليقتله بها وجرى له معه امور يطول شرحها الى ان رأى الوزير كتاباً له ورد فيه ان الانسان اذا أراد الحج ولم يمكنه افرد من بيته حجرة طاهرة لا يدخلها احد فاذا ازفت ايام الحج يطوف حولها وبعد ان يفعل ما يفعله الحجاج بمكة يجمع ثلاثين يتيماً ويطعمهم ويخدمهم بنفسه ثم يكسوهم و يعطي كل واحد منهم سبعة دراهم فاذا فعل ذلك كان كأنه حج فلما قرئ هذا في المجلس قال القاضي للحلاج من اين لك هذا قال من كتاب الاخلاص لحسن البصري فقال القاضي « كذبت ياحلال الدم » فقد سمعناه في مكة وليس فيه هذا فلما سمع الوزير قوله له « ياحلال الدم » طالبه بالافتاء كتابةً فدافعه ابو عمرو ولكن حامداً ألزمه فكتب باباحة دمه وكتب بعده من حضر فلما سمع الحلاج قال لهم « ظهري حمىً ودمي حرام ومايحل لكم فاعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في السنة فالله الله في دمي » ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون حتى انصرفوا من المجلس وحمل الحلاج الى السجن وكتب حامد الى المقتدر بما كان فعاد الجواب انه يسلم الى صاحب الشرطة حيثما يُضرَب الف سوط فان مات من الضرب والا فليضرب الف سوطٍ أخرى ثم يضرب عنقه فسلمه الوزير الى صاحب الشرطة وقال له ان لم يتلف بالضرب فقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ، ثم حز رقبته وحرق جثته فأخرج الى باب الطاق صبيحة يوم الثلاثاء في ٢٣ ذي القعدة سنة ٣٠٩ كما قلنا وقد اجتمع خلق كثير لا يحصى عددهم فأتمّ الشرط ما أمروا به مع كمال القسوة فلم يتأوّه ولم يتوجّع فحزّ رأسه بعد قطع أطرافه وأحرقت جثته ولما صارت رماداً ألقيت في دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد ليراه اصحابه واشياعه ثم أرسل الى خراسان حيث يوجد له مريدون يقولون برجعته بعد اربعين يوماً وهم ينسبون اليه من خوارق المعجزات ما لا يجدر بنا سرده هنا وآخر ما اتصل بنا من شعره قوله :

لم يبق بيني وبين الحق اثنانِ ولادليل بآيات وبرهانِ
كن الدليل له منه اليه به وقد وجدناه في علم وفرقانِ

هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي   هذا توحد توحيدي وايماني
لا يستدل على الباري بصنعته   وانتمُ حدثٌ ينبي بازمان

والأدعى الى الغرابة والدهشة ان يقوم في القرن العشرين اي بعد مرور زهاء الف سنة على قتل الحلاج رجل كالسيد ماسينيون من كبراء علماء المشرقيات من الفرنسيس فيخصص شطراً من صفوة ايامه ولباب حياته باحثاً عن الحلاج وعلم الحلاج ومذهب الحلاج وعدد من كتبوا اولاً واخيراً عن الحلاج من عرب وعجم وترك وهنود واوربيين وما هي كتبهم واين طبعت واين توجد ومن هم اولئك الكاتبون وما هي اللغات التي كتبوا فيها وما هي مؤلفات الحلاج وماذا قيل عن حياته وماذا قال ابنه عنه وشفع كل ذلك بصفحة مطبوعة بالزنكوغراف مأخوذة من كتاب عربي خطي الفه المرحوم السيد محمد سعيد القاسمي في الصناعات الشامية قال عنه انه من جملة كتب ابنه المغفور له السيد جمال الدين القاسمي وتقتصر هذه الصفحة على تعريف اسم الحلاج وما هي صناعة الحلاجة وكيف يحلج القطن وما هي الآلة التي يحلج بها العامة القطن، ثم يجمع — اي ماسينيون — كل هذا في كتاب بالفرنسية يقع في مجلدين ضخمين.

ولقد اتينا استطراداً بهذه الاشارة لكي يرجع الى الكتاب من يرى من وانه متسعاً وفي نفسه ارتياحاً للاشتغال على هذه التفاصيل وغيرها مما يخرج عن الغاية التي نتوخاها من مقالتنا وهي تعريف حياة الحلاج من حيث هو شاعر ذو خطة معينة وطريق خاص كالقدماء لا من حيث آراؤه الدينية وما ترتب عليها من العقاب السياسي فان كلا الموضوعين — الدين والسياسة — يخرج عن دائرة العمل عندنا ولم نذكر ماذكرناه من هذا القبيل إلماماً وإلماعاً الا توصلاً للهدف الذي نرمي اليه من ايقاف المطالعين على مزية الرجل الشعرية والأدبية واتخاذه اياها وسيلة للخطة التي اختارها لنفسه في معترك هذه الحياة ليس الا.

على اننا نصرح هنا اننا لم نر فيما قرأناه حتى الآن من تراجم احوال الرجال حياة أكثر غرابة وشذوذاً وميتة اعظم عبرة واشد هولاً من حياة هذا الرجل وميتته فانها مرآة وضاءة ترسم لنا بُعد الانسان مهما ارتقى الى مراتب الحضارة والعبقرية والعلم عن ذروة الكمال والله وحده ولي المرجع والمآل.

دمشق :   سليم عنحوري
عضو المجمع العلمي العربي

المهاجرة

لقد سحت في بلاد الغرب نحو عشرة اشهر صرفت معظمها في الولايات المتحدة الاميركية واجتزت تلك البلاد من الشرق الى الغرب وزرتُ اعظم ولاياتها ومدنها وشارفت عن كثب حالة السوري المهاجر فيها ، ومع ان الوقت الذي صرفته هنالك لا احسبه كافياً لاعطاء رأي حاسم في المهاجرة ، فها انا انقل لابناء بلادي باخلاص تام رأياً اعتقده صواباً غير مدع العصمة فيه او التفوق فيما انقله وابديه ٠

يرجع عهد المهاجرة الاول الى منتصف القرن الماضي على وجه التقريب وهو زمن الطلائع ولكن المهاجرة كانت على أشدها في الربع الاخير منه وفي اوائل هذا القرن حتى وقوع الحرب الكبرى ثم بعد انتهائها وليس هنالك احصاء دقيق لعدد المهاجرين من بلادنا يمكننا الرجوع اليه انما يعتقد العارفون ان هنالك على اقل تقدير ما يقارب نصف المليون من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين المهاجرين الى الاميركتين وجزر البحر واوقيانوسيا وغربي افريقية وجنوبيها وشماليها واكثرهم من خيار الشبان الاقوياء ٠ ففي بعض مدن الغرب الكبرى كنيويورك وبوسطن وديترويت من اعمال الولايات المتحدة الاميركية وساوبولو وريودي جنيرو من اعمال البرازيل وبونس ايرس من اعمال الارجنتين وغير هذه جاليات سورية تملأ مدناً صغرى برمتها عندنا كطرابلس وصور وصيداء ففي نيويورك نحو اثنين وثلاثين الفاً وفي بوسطن نحو سبعة عشر الفاً وفي ديترويت نحو العشرين الفاً ويزيد العدد كثيراً في ساوبولو وريودوجنيرو وبونس ايرس على هذا التقدير٠ وهنالك مدن كثيرة لا يقل عدد نفوس الجاليات السورية في كل منها عن اربعة او خمسة آلاف والسوريون قد تغلغلوا في بلاد المهجر حتى في اصغر القرى واحقر الدساكر يعمرون بلاد الاجانب وبلادهم تكاد تقفر من ساكنيها التي يقال انها كانت الى ثلاثة آلاف سنة خلت

نعد نحو الثلاثين مليوناً من النفوس · ولو حسبنا معدل نفقة المهاجر الواحد من بلادنا لايصاله الى ديار المهجر ثلاثين ليرة عثمانية ذهباً وانه يحتاج الى انفاق مثلها ليتمكن من العودة الى هذه البلاد لبلغ مجموع إنفاق المهاجرين في هذا السبيل ثلاثين مليون ليرة عثمانية ذهباً وذلك على أقل تقدير · وهل تملك بلادنا اليوم هذه القيمة من الذهب نقداً ؟؟؟ او لا نحييها من العدم وننهض بها نهضة عظمى ثروة هذا مقدارها ؟؟؟

وما انا بمبالغ ان قلت لكم ان ثروة جميع المهاجرين السوريين في الولايات المتحدة وكندا الذين قد لا يربو عددهم كثيراً على المئة والخمسين الفاً من النفوس لا تتجاوز هذا المقدار المذكور عند التصفية لا بل قد تنقص عنه كثيراً · والسبب الاهم في ذلك هو أن السوري المهاجر يعاني أشدّ المنافسة في تلك البلاد التي تفوق غيرها من بلاد المهجر مدنيةً وعلماً ومباراةً واسرافاً · ولعل إخواننا السوريين القاطنين في مصر القطر العربي الشقيق هم أوفر حظاً واهنأ عيشاً وانعم بالاً واكثر عدداً واوسع جاهاً من جميع السوريين المهاجرين في جميع انحاء المعمور ·

(اسباب المهاجرة) — ولعل في عداد الاسباب التي كانت تبعث على الهجرة ظلم الحكومة التركية البائدة وارهاقها العنصر العربي في المملكة وعدم تسهيل أسباب العمل والنجاح له او لازدياد الاسراف في بلادنا بعد احتكاكنا بالغرب الذي فتح سوقاً رائجة لمصنوعاته عندنا وبدأ القوم تدريجاً يقلدون الغربيين في إنفاقهم برغم ان مداخيل البلاد بقيت شرقية صرفة فلم يك اذ ذاك بدّ من ايجاد ما يسدّ النقص في الايراد ليعادل الانفاق وقد جاء ذلك عن طريق المهاجرة التي كانت لبلادنا شبه تجارة الرقيق نعطي رجالاً لنأخذ مالاً · او ما كان يروج بين البسطاء من ان اميركا هي بلاد الذهب والثروة ويؤيد ذلك احياناً عودة احد المهاجرين الناجحين الذي كان يتخذه القوم عندنا مثالاً يقتدون به وينسجون على منواله — واذا ماسئلت اليوم هل تعتقد بالفضلية المهاجرة وفائدتها لهذه البلاد او للمهاجرين انفسهم لما تردّدت لحظة عن الجواب بمنتهى الصراحة — كلاّ ·

كلاّ لا أعتقد مطلقاً بالفضلية المهاجرة لا لبلادنا ولا لمهاجريها وليس معنى ذلك انني لا أجد في المهاجرة حسنات ولا في حالة البلاد التي تدفع بنيها الى هجرتها سيئات ولكنني اجمع حسنات المهاجرة الى سيئات البقاء في الوطن وأقابل مجموعها بسيئات المهاجرة وحسنات

الاقامة فأفضل البقاء على الهجرة و كفة ميزانه عندي ترجح كثيراً على تلك وخصوصاً في هذه الايام ٠

أليس مما يدمي الفؤاد ويقرح الجفون ان نشاهد القوم عندنا مقبلين على المهاجرة حتى في حالة منع الحكومات الاميركية لها وتضييق حلقتها دونهم باعتبارهم مادة شرقية لا تصلح للتصدير الى الغرب ولا تأخذنا على الأقل انفة العرب الكرام التي ندّعيها في كثير من المواقف مذ نسمع القوم يصرحون لنا انهم لا يريدوننا عندهم ولكننا نقبل عليهم اي إقبال وها هي دور قناصل الحكومات الاميركية ملأى بالوف طالبي الهجرة لا يصدهم عنها ايصاد الأبواب دونهم او ردع القوانين ٠

ويؤلمني جداً فوق ذلك ان أشاهد حالة السوء بين المهاجرين خصوصاً في هذه الايام وشدة جهادهم في بلاد لا تعرف غير الجهاد وكم يقاسون من عرق القربة في تحصيل الثروة التي لا يحرزها غير القليلين منهم ويبقى نصيب الأكثرية الساحقة الخيبة وكم منهم من لا يحصل قوت اليوم فيبقى عالة على المحسنين او رهن الذل والمسكنة والامراض ٠ يؤلمني ان أعرف ذلك وان يجهله الكثيرون من طلاّب الهجرة ويحسبون القوم هنالك جميعهم يحفرون على الذهب و يتاجرون بالجواهر والماس و يعيشون عيش الاسراف والترف ٠ و يسوءني ايضاً كيف ان بعض قديمي العهد بالهجرة قاسوا الامرّين في نومهم وقوتهم والبستهم وجميع احوال معيشتهم وشدة جهادهم قبل ان اقتصدوا بعض دريهمات جعلوها رأسمالهم الاول وقبل ان حق لهم ان يكونوا في عداد التجار الحقيقيين ومع ذلك ما من احد منهم اليوم الا وهو تحت رحمة الأقدار وثروته غير مضمونة البقاء ٠

ولعل الخطأ الاكبر والباعث الاول هو عقلية بلادنا بشأن المهاجرة وانها السبيل الوحيد الى الثراء حاصل من حنان بعض اخواننا المهاجرين لذوي قرباهم في هذه البلاد فهم احياناً كثيرة يقطعون القوت الضروري عن نفوسهم او قد يستدينون ليقدموا لذويهم مبلغاً صغيراً من المال هو عندهم عنوان النجاح وتحقيق الآمال وكثيرون منهم يخفون هذه الحقيقة الراهنة عن اهليهم استبقاء لاطمئنان نفوسهم او خوف الفضيحة وهزء الشامتين ٠

ويخيفني جداً ان تكون هذه هي حالة الكثيرين من ابناء بلادنا في المهجر وان الاكثرية

الساحقة منهم لاتملك شيئاً سوى الكفاف وانهـا تشتغل بالبدل اليومي وتقاسي العذاب الشديد في جهاد الحياة بين قوم تختلف مدنيتهم عن مدنيتنا وعاداتهم عن عاداتنا ومعيشتهم عن معيشتنا ولغتهم عن لغتنا ويكفي ان نقول ان السور بين اللبنانيين هم هنالك في بلاد غريبة يذهبون اليها صفراليدين وليس لديهم عضد او عون سوى الصحة والآمال وكثيراً مايضيع بالجهل كلاهما ويحترق في أتون جهاد تلك البلاد الحامية وتجار بها الخلاّبة واسراضها المختلفة المميتة .

لاعبرة بنجاح المراد قليلاين من السور بين في بلاد الغرب وهؤلاء العصاميون لا شك في نجاحهم على تلك النسبة حتى في هذه البلاد بشرط ان يجاهدوا هنا كما يجاهدون هنالك فالسرّ في شخصية الافراد لافي الهجرة عينها وذووالشخصيات البارزة ناجحون في كل بلاد وزمان . او لم يكن السوري يوماً زعيم المدنية في العالم ورسول الاديان والاختراع ومؤسس العلوم والصناعات ؟؟ بل . وماهو اليوم ولم يعد سباقاً في الميدان . شاهده في بلاد الهجرة فاذا به يذكر اسمه واسم بلاده غير مقرون بالاحترام التام إن عدلاً وان ظلماً فليس للسوري عموماً ذلك المقام الذي تر يده نحن له بينما الامم والشعوب التي تحسب نفسها سبقته كثيراً في مضمار العلم والمدنية والارتقاء والعمران . وهذه حقيقة مع انهـا مؤلمة جارحة تستحق الذكر والتصريح . وماهي الاسباب الباعثة على هذا الحال ؟ اترك للقارئ اللبيب ان يجيب على هذا السؤال ويجلو معماه وأبقي لنفسي حرية عدم الاسهاب والتطويل .

بلادنا افضل بلاد الله لنا بقطع النظر عن ذكر حقوقها علينا وواجباتنـا نحوها فهي تصلح لنـا ونصلح نحن لها اكثر مما لسواها وهي واسعة جداً ولا خوف عليها من ان تزدحم او تضيق بنا ، هي ارحب صدراً وارحم قلباً وارق عاطفةً وأرأف بنا ، هواؤها وماؤها ، شمسها وقمرها ونجومها ، ارضها وسماؤها ، فصولها ، نبتهـا وغرسها ، درها وفاكهتهـا ، كل ما فيها حبيب الينا وحبيب جداً . الا فلنشفق على نفوسنا وهذا الوطن ولنتعهده قبل ان نتعهد سواه بسواعدنا وقلوبنا وارواحنا ولنجتهد ان نجعل الصادر في تجارتنا من انتاج ارضنا وايدينا لا من انتاج ارواحنا وقلوبنا حتى اذا ما نقص هذا الانتاج نهلك وتهلك معنا البلاد .

لقد جبت كثيراً من الآفاق وتجولت في كثير من بلاد الناس واشهد عن يقين واختبار

اني لم أشاهد بلاداً أجمل من سورية ولبنان . اطللت من عُرض البحار على موانئ كثيرة في مختلف البلدان وشاهدت مناظر تأخذ العقول وتسبي الخواطر والالباب ولكن ماسحرتُ بمنظر احدها كما سحرت عندما اطللت من عرض البحر على بيروت ولبنان ولم أشاهد منظراً أروع من ذاك المنظر البديع الفتان ..... أطل من قمم لبنان ان كنت من غواة التصعيد في الجبال . أطل من اعالي الكنيسة اوصنين اوظهر القضيب اومن حرمون وشاهد تحت سماء صافية وجو أزرق بديع الجبال والاودية والوهاد ، السهول والبطاح والانجاد ، المروج والجداول والبحيرات . وحدق بناظر يك الى أبعد مرمى البصر الى فلسطين والشرق العربي — الى حوران وجبل الدروز — الى طرابلس وعكار — الى ساحل البحر وعرض البحر — الى بيروت وصيدا وصور — الى سهول البقاع وبعلبك وحمص وحماة وحلب — الى لبنان الغربي والشرقي — الى دمشق والغوطة الخضراء . بلاد هي اجمل البلدان ، ومهبط الوحي ومنبت الشرائع والاديان ، هي موطن المردة ، وعرين الآساد ، ومرتع الغزلان .

وان كنت أقل طموحاً في التصعيد فأطل ولو من ظهر البيدر على بقاع العزيز — على المروج السندسية الخضراء الملتفة بالألوان المختلفة البديعة مقطعة تقطيعاً هندسياً جميلاً يخالها المشاهد قطعاً من الطنافس الثمينة منبسطة فوق تلك البطاح ، اواطل من ميسلون ، او اطل من قاسيون وشاهد شروق الغزلة وغروبها ، او انتبه وكن يقظاً عند مدخل دمشق الزمردة الخضراء على كتف الصحراء . مشاهد كلها تملأ القلب روعة وجمالاً وتبعث في النفس عزة وجلالاً ، وتهبط بالوحي على العقول المولدة المجددة العاكسة تلك الصور البديعة الخالدة شعراً وخيالاً في الخواطر ، ووحياً والهاماً في القلوب ، واطماعاً وهمة في النفوس ، وانغاماً شجية في الاسماع ، وآمالاً ورؤى واحلاماً ذهبية على لوحة المستقبل وصفحات الأقدار .

بلاد يأتيها السائح من بلاد الغرب فيؤخذ بجمالها الطبيعي و يندهش لآثارها التاريخية ويخشع في أماكنها المقدسة و يعود غنياً بتأثير ذكرياتها الخالدة .

لم أشاهد شمساً ساطعة مشرقة كشمس هذه البلاد وسماء صافية كسمائها وليالي قمراء زهراء كلياليها وفصولاً سنوية كفصولها . فربيع بلادنا ربيع تام وصيفها صيف تام وهكذا قل عن خريفها وشتائها . وفيها مايوافق جميع الامزجة لجميع الفصول : فمن

مشق بيروت وساحل البحر المعتدل الى مصايف لبنان الجبلية وبعضها يعلو اكثر من اربعة آلاف قدم عن سطح البحر ولا يقتضي الانتقال من هذه الى تلك سوى مسير اقل من ساعة واحدة بالسيارة الحديثة ، وهنالك مشق طبرية حيث الهبوط اكثر من ثلاثمائة قدم عن سطح البحر — الى مشتى اريحا حيث الهبوط اكثر من الف قدم عنه وحيث الشتاء ربيع دائم .

وهل يوجد في الدنيا ربيع اجمل من ربيع دمشق ؟؟؟ لم أنشق نسيماً عطراً عليلاً كنسيم هذه البلاد ولم أرشف ماء زلالاً عذباً كمياهها ولم أتذوق طعاماً شهياً كطعامها .

لقد سألني الدمشقيون في المهجر عن المشمش الحموي والعنب الزيني وتفاح الزبداني واللبنانيون عن عنب زحلة وبحمدون وعن تين الجبل وصنوبره والحلبيون عن فستق حلب والفلسطينيون عن برتقال يافا . ولعمري ليس لهذه البلاد في جميع مميزاتها من مثيل في جميع الاقطار والامصار . أفمن اجل هذه المميزات تستحق هجرة بنيها والبعاد والنسيان .

نرسل الى بلاد الغرب شباناً في ريعان القوة وعنفوان الصبا ونأخذ عوض ذلك اصفى الدر بهات فبئست التجارة الخاسرة هنا وهناك وبئس المصير أتباع الأرواح بالمال وهل تشرى النفوس بالدنانير ؟

ارسلوا هؤلاء الفتية من طالبي الهجرة في حقول البلاد يغرسون اغراسها و يزرعون حبوبها وزعوهم في مصانعها يحيكون الاصواف والحرير ، أوجدوا لهم عملاً فيعملون او أوجدوهم عندنا فهم يوجدون الاعمال ويحيون الآمال .

معلوم أن سعادة الحياة ليست في ثراء الغرب ولا هي في خزن الاموال ولا في اقتناء السيارات بل هي في الصحة والعلم والعمل ، وان العمل شريف جداً زراعة كانت ام صناعة او في اي مهنة حرّة تحتاج اليها البلاد .

لا تبعدوا الوالد عن عائلته ولا الفتى عن ذويه ولا تقضوا على سعادة الشرق بتفكك عرى بنيه فما الفوائد بمعادلة ماتبذلون وما النتيجة عندما تؤملون .

أفيقي ايتها الحكومة مع الشعب وعالجي هذا الداء داء المهاجرة القتال وحاربيه لا بقوة المنع والشرائع فقط بل تخطي الى الوجهة الايجابيـة وسهلي على القوم العمل فتبقين على فلذات الاكباد في الوطن لا بل تحببين العودة الى كثيرين من ابنائك في ديار المهجرة ممن بقي في نفوسهم حنين اليك ولكنهم يخافون الفشل وعدم ايجاد اسباب النجاح .

بلادنا زراعية في الدرجة الاولى فأين وسائل الري ؟ اين تسهيلات المزارعين والفلاحين ؟ عندنا صناعات وطنية اين تنشيطها التنشيط المثمر وحمايتها ؟ هنالك ما نستورده من بلاد الغرب ويمكن صنعه في بلادنا فأين ماعملناه في هذا السبيل ؟؟٠

ليذهب المهاجر منا في سبيل نقل العلم والصناعة والفنون اللازمة لنا ليذهب وليعد فاذا هو قوة جديدة في البلاد ٠ وليهاجر فقط من يتعاطى ترويج صناعات بلادنا وتولى اصدارها لبلاد الغرب ولنحترز ان لايكون في عداد هؤلاء من يسيء سمعة البلاد وليذهب منا من يشاهد عن كثب تفوق الغربيين فيعود مهمازاً لنا في طلب الترقي مثلهم ٠ ولنجتهد ان نعيد الاحترام السابق لنا بين الامم والشعوب فيكون هذا الاحترام رأسمال المسافر منا في سبيل شريف وليس للفرد والامة من مرمى أبعد وأسمى من احراز الرفعة والاحترام ٠

السوريون في الولايات المتحدة الاميركية قد تجنست اكثريتهم الساحقة بجنسية تلك البلاد والفقير منهم لايطمع بالعودة صفر اليدين والقليلون من ذوي الثروة لايرغبون في ترك مجال النجاح والتفوق هنالك والمركز الذي أحرزوه بشق الانفس والتعب الشديد وجهاد السنين الطوال ٠ وبعد زمن غير بعيد ستمحي الجالية هنالك من قلب الاميركيين فيقضي العجز والشيوخ فيها ومن كانت لهم صلة بهذه البلاد والنشء الجديد منها اكثره لايقرأ اللغة العربية ولايكتبها ولاهو باحتياج اليها ففد ولد في تلك البلاد ونشأ فيها واحبها وهو لايعرف شيئاً مذكوراً عن هذه البلاد ٠ ومن الجهل ان نطمع بقدومه اليها او باستمراره على مساعدة ذويه عندنا ٠

اذاً ستكون الصفقة خاسرة لنا فهل نطمع ان نزيدها خساراً بان نستمر على الهجرة وان ننكب البلاد بضياع بنيها وفلذات اكبادها عاماً بعد عام ٠

بلاد الغرب تئن اليوم من العطلة وعدم توفر العمل للملايين العديدة من الشبان وفي الولايات المتحدة الاميركية ما لايقل عن ستة الملايين منهم بطالين لايجدون سبيلاً للعمل والارتزاق والضائقة مستحكمة في تلك البلاد بصفة لم نعهد لها مثيلاً فيما مضى ٠ وقد لانشعر نحن بشدة هذه الضائقة العالمية لاننا نسير على مهل فتأتي صدمتها خفيفة عندنا لكنها قوية جداً عندهم لانهم يسيرون بسرعة هائلة ٠ و يا لبلية الاصطدام عند المسرعين ولعل نسبة سرعتنا في أعمالنا لسرعتهم هم كنسبة سرعة قطار بيروت — دمشق وهو

مصعِّد في طريقه بين محطتي عاريا وعاليه الى مسرعة سيارة من الطراز الحديث تقطع سهل البقاع في طريق دمشق — بيروت المعبدة تعبيداً فنياً حديثاً لا بل قد يسيرون هم بالنسبة الينا على أسرع من هذا القياس بشيء كثير .

الحياة عندنا فيها شيء من التعاون العائلي وحفظ حقوق الجوار المقدسة وقد ينتقل الى جانبك جار جديد فيحمل له اقتراض بضعة أرغفة من الخبز لقوت عياله ولا يجد هو أوانت في ذلك نكراً أو فضيحة وقد تستعير امرأته بعض الادوات البيتية اللازمة لها فلا تفشل في طلب الاعارة . اما في بلاد الغرب فما للجار من حق على جاره حق ولا للأخ على اخيه فهم من هذه الجهة يعيشون حياةً فردية استقلالية جافة مجردة من هذه الحسنة التي لنا نحن في هذه البلاد وفيها ما فيها من معنى الانسانية الصحيح والتآخي البشري الحقيقي الناضج .

يمرض الانسان في بلادنا وقد يشفى في اكثر الأحيان او يطول اجله لا من عقاقير الطب وذكاء الاطباء بل من محبة الاهلين وعيادة الاصدقاء وسيال الحنان الصادق ينبعث في عيون زائريه وذويه ويمرض هنالك في بلاد الغربة وقد يقضي عليه لمجرد فقد هذه المزايا لديه هناك .

السعادة التي ننشدها يجيء اكثرها من خزان الدماغ الباطن في الانسان واجمل ما في هذا الخزان تذكارات زمن الصبا وصوره الحلوة واحلامه الجميلة ولهوه البديع وهذه جميعها تأتي مرتبطة بمشاهد الارض التي يمرح عليها الوليد ، وصفاء السماء التي يشاهدها فيما نسميه نحن الوطن ، وفيه البيت الذي نأوي اليه والاهل والاحباء والرفاق والمواطنون . لذا يشعر المهاجر بالغبطة عند عودته ولو الى مزرعة صغيرة تركها منذ زمن طويل ويحن اليها الحنين الكثير لانها توقظ فيه تلك التذكارات الجميلة تذكارات الصبا التي تبعث المرح في القلب والامان في العيون وترجع الكهل شاباً اوفتى بروحه بعد ان نهكته الايام ولوعته المحن والمشقات وشدة الجهاد . ولولا هذا الارتباط والحنين وتلك التذكارات الجميلة الناعمة لأقفرت دساكر كثيرة لا تخلو سوى لساكنيها فقط ولنعق فوقها البوم واضحت أطلالاً دارسة .

الا يفرح طائر السنونو المهاجر بعودته الى العش الذي بناه في عامه الاول ولا ينفك ملازماً له عاماً بعد عام ؟ أليس هو مقدساً لديه اكثر من كل بقعة أخرى تحت السماء ؟ بلى .

مررت في عودتي الى بلادي على ميناء «نابولي» من اعمال ايطاليا وقد كان على ظهر الباخرة عدد من السوريين بين العائدين الى الوطن وعند رسو الباخرة «بروفيدانس» في مينائها سمح لجميع المسافرين بالنزول الى المدينة دون ادنى معارضة او تضييق ولكن حظر ذلك على السوريين فقط ما لم يسلموا جوازات السفر للبوليس الايطالي الواقف على سلم الباخرة فقلت في نفسي ولمَ عدم المساواة في وقت كهذا ام ان الحكومة الفاشيستية تريد ان تعتز بشيء ولو على الضعفاء مع انهم لم يفعلوا هكذا عند مرورنا بتلك المدينة ونحن مسافرون على ظهر الباخرة «موربتانيا» ولعلّ ذلك لاحترامهم الشركة التابعة لها هذه الباخرة اكثر من احترامهم شركة «فابرلاين» التابعة لها الباخرة الاولى ، او لعل ذلك لاظهار مبلغ الاحترام الذي يتمتع به السوري المهاجر في بلاد الغرب . ان في الأسفار دروساً قيمة يتعلمها المرء في هذه البلاد وهي بحاجة شديدة اليها ألا وهي دروس القومية والاتحاد والتعاضد . فلا قوة في بلاد اجنبية بغير هذه المبارزة القومية وليس ما نشاهده من التعصبات المذهبية عندنا سوى مظهر من مظاهر الجهل الفادح والشقاق وما نفور الأقلية في البلاد من اكثريتها او سلوكها مسلكاً مخالفاً لها سوى دليل الذل والصغار وما ادعاء الاكثرية وتعاظمها على الأقلية سوى كبرياء فارغة لا وجود لها في قاموس ارتقاء الامم البالغة سنّ الرشد والادراك ، لا تبنى القوميات على الأديان ، وان فيما تبنيه تركيا الحديثة اليوم من عزمٍ ورقيٍ وفلاح ، ونجاحها في هذا البناء لدليلاً بيّناً على صدق ما اقول فهي لا تقف بين غيرها من الدول باسم الدين بل باسم الانسانية المطلقة وباسم العنصر التركي الذي يحق له الحياة كبقية العناصر البشرية في العالم . وعند مروري على استانبول قدرت ان احترم المجهودات التي تبذلها الحكومة التركية في هذا السبيل القويم الشريف .

بلادنا واحدة ومصالحنا فيها مشتركة . والمهاجرة هي بلاؤنا الاكبر وداؤنا القتال فلنتقلم عنها الا في أحوالها المفيدة فقط وحيث لا نضطر الى تغيير جنسية المهاجر منا فيبقى اميناً على حقوق قومه وبلاده .

عرفت رجلاً انكليزياً كان في هذه البلاد ايام الحرب الكبرى وعندما أبعد جمال السفّاح الاجانب الى داخلية بلاد الاناضول وضيّق عليهم جداً واستولى على ممتلكاتهم

عرض على هذا الرجل ان يجنس بالجنسية العثمانيـة وهو يعيد اليه حريته وجميع حقوقه وممتلكاته ويمكنه من السكنى في بيته ،لكنه ابى ذلك بانفة عظمى وقال يهون عليَّ كل شيء حتى تجرع غصص النفي والجوع والامراض والموت ولن أغير جنسية دواتي وبلادي . وان كان في عمل هذا الرجل الشهم ما يدعو الى الاعجاب والاحترام فان لسوريٍّ يعمل عمله في احوال كهذه فضلاً اكبر ،إعجاباً في نفوسنا أشد بالنسبة للبون الشاسع في المكانة بين الدولتين . فأين هي مكانة السوري المهاجر من هذا القبيل حيث لا ضغط ولا تهديد حتى ولا ترغيب ولا وعيد وكم هم الذين حافظوا على جنسيتهم السورية في بلاد المهجر . وقد شاهدت في استانبول انهم لم يأذنوا لركاب السفينة السوريين المتجنسين بالجنسية الاميركية بالنزول الى البر بينا هم سمحوا بذلك لسواهم لعدم احترامهم او اعترافهم بتبدل الجنسية هذه .

ولو ان المهاجرة بقيت عند غايتها السابقة قبل الحرب الكبرى اي طمعاً بالارتزاق فقط ولا يقطع المهاجر صلته ببلاده ولا يغير جنسيته ثم يعود بعد حصوله على ما يتمناه الى وطنه وبلاده — لما وجدت فيها الغبن العظيم الذي أجده هذه الايام ، وهنالك من يهاجر اليوم الى بلادنا قصد السكنى والارتزاق وعندنا من يرحل عن بلاده وهو بها اولى وهي به أرحب وحنانها عليه أشد . فالتدبير هذا الامر بالحكمة وبعد النظر قبل ان يعم البلاء ويستعصي الداء وهو ذو شأن اي شأن لنا ولبلادنا التي نحلم لها بمستقبل زاهر ونؤمن بوصولها يوماً الى ما نتوخاه لها من سعادة وحرية وفلاح(1) .

سليمان سعد
رئيس مدرسة الجامعة العلمية في دمشق

---

(1) ألقيت هذه المحاضرة في ردهة المجمع العلمي العربي بتاريخ ١٩ آذار سنة ١٩٣١ .

على اطلال الشعر الجاهلي

— «١» —

أهذا بشعر قام كالطلل البالي ... يمثل نفس القوم في الزمن الخالي
واتراحَ ناس بعد خفض ونعمة ... عليهم أناخ الدهرُ يقسو بكلكال
وأشجانَ جيل في الشقاء تجرّعوا ... كؤوس المنايا ترعةً قبل اجيال
وما الشعر الاّ ما يمثل آماله ... فينقل من ماض أناساً الى الحال
وما كلُّ شعر قد سمعتَ بجيدٍ ... ولا كل ماء قد وردتَ بسلسال
اذا لم يكن شعر الفتى من شعوره ... فما هو عند السامعيه بذي بال
وان قصّرت الفاظه عن مراده ... فما هو في يوم جدير باجلال
وان يزكُ معناه ولم يزكُ لفظه ... فذاك كحرد في دريس واسمال

* * *

وما راقني ممن تقدّم عهدهم ... سوى الصدق ان الصدق اجمل سربال
ويا حبذا هذا الجديد لو انه ... من اللغو او كذب يَغرّ به خال
وما عن قلىً رفضي الغُلاةَ وانما ... هنالك اميال تخالف اميالي
قد انهار صرحُ الشعر الاّ أقلّه ... وقد كان ملءَ العين كالجبل العالي
واما حياض ثرٌّ منه غديرُها ... فلستَ ترى من مائها غير اوشال
ولم ارَ فيمن خاب للجهل سعيهم ... كمغترف ماءً بقبض بغربال
واكبرُ في عيني من الشعر شاعرٌ ... يرى ماله للشعر لا الشعرَ للمال
رأيتُ ابتذالاً فيك ياشعر مزريا ... وما كان هذا في مصيرك آمالي
أردتك خلواً من عيوب زريةٍ ... فانك عندي ذلك الجوهر الغالي

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

«كأنك لم تركب جواداً لغارة   ولم تتبطن كاعباً ذات خلخال»

* * *

يجادلني في الشعر لا عن روية   فريق من الأشياخ كلهم قالِ
كلانا مُلِمٌ بالصواب بزعمه   ولكن صوت المبطلين هو العالي
كلانا اذا خاض العجاجة مبسل   ولكنما ابطالُهم غير ابطالي
هنالك حرب شبّها السخط والرضى   وما كل من خاضوا الحروب بابطال
وكل امرىء يقفو هوًى في فؤاده   لما هو في عين يراه بها حالِ
نشأتُ على استقلال نفسي بامرها   فلا أرتضي نهجاً على غير منوالي
ولا أدّعي اني انفردت بقولي   ولكنني راضٍ كغيري بالقوالي
سوى ما أريهم انني ان قفوتُهم   شأوتُ واني فوق أجرد ذيّال

* * *

لقد ظلّ هذا الشعر خمسين حجة   يقوّم أقوالي ويبرم أعمالي
فسرتُ على ما سنّه لهدايتي   وان رام في تلك الهداية إضلالي
صدعتُ فلما أوهنتني كبرة   وقفت عن الافصاح كالطلل البالي
وقلتُ أقلني أيها الشعر عثرتي   فقد زل رجلي وهي تحمل أثقالي
وخذ بيدي في سقطة قد أتيتُها   فمالي حتى الموت غيرك من والِ
فأعرضَ عني لا يريد إقالتي   واشمت بي عند النهاية عُذّالي
واني ان أهلك فلستُ بخاسر   لشيء كثير من نعيم واموال
لعمرك ما في الموت شيء يهولني   ولكن حياتي هذه ذات أهوال
على ان لي بعد التقهقر كرّة   اصول بها تجدّداً على كل مختال
سأجهر بالحق الذي يكتمونه   وان قطع الاعداء بالسيف اوصالي
واني في غيلي كرئبال غيضة   ومَن ذا ترى في غيله غير رئبال
لحى الله ناساً اخطأوا طُرُقَ العلى   ولم يطلبوا الغايات الاّ من المال

* * *

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

« تمثال لليلى من الشعر »

نصبتُ لليلى من قريض نحتُّه — على صفحة القرطاس اجملَ تمثال
حكاها كأن الله صاغها معاً — شبيهين في ثوب من النور هلهال
وشبّه ناسٌ طرفها وقوامها — بابيض بتّار واسمر عسّال
على خطإٍ منهم فما السيف باتراً — ولا الرمح عسالاً لليلى بامثال
واحسب اني لا أشطّ عن الهدى — اذا قلتُ ليلى النورُ في الافق العالي
سرى حبُّ ليلى في جميع جوارحي — واشعل فيها ناره أي اشعال
وليلى كنار الشمس يحمل ضوءها — ويملأُ عيني في غدوي وآصالي
فطوبى لعين لا تزال تشيمها — وويحٌ لقلبي ان قلبي بها صال
وان تك ليلى اليوم شطّ بها النوى — فما أنا عن ليلى وايامها سال
ولو كنتَ في يوم الوداع بجنبنا — شجاك مشيجٌ من بكاها واعوالي
يعزّ على عيني الشقيّة ان ترى — لليلى بقربي منزلاً غير محلال
أريد رحيلاً عن بلاد تهينني — ولكن أفدني اين أنزل أحمالي
وفي القوم من لا يبتغي نقلةً له — ولو أُرجفت ارض العراق بزلزال
ولكن حرّاً ليس يرضيه حاله — يموت ولا يبقى مقيماً على الحال
ارى الضيم في بغداد لي متجسماً — يريني أنياباً كأنياب اغوال
يريدون بالاذلال جرحَ كرامتي — ويأبى جراحاتِ المذلة امثالي

بغداد : جميل صدقي الزهاوي

مطبوعات حديثة

—«»—

الآداب العربية وتاريخها

« تأليف السيد جرجي كنعان طبع في المطبعة الادبية في بيروت »

« سنة ١٩٣١ ص ٦٢٨ »

توخى المؤلف ان يكون تأليفه حسب منهاج البكلوريا اللبنانية والسورية . وقد اقتبس أسلوب تاريخ الأدب العربي للاستاذ الزيات وكتاب الوسيط للاستاذين الاسكندري وعناني وما صدر بعد ذلك في هذا الموضوع . فلم يأت المؤلف اذاً بجديد من مثل تحليل حياة الادباء والعلماء وما كان من اثر البيئة والاقليم والحضارة في منثورهم ومنظومهم . وتوسع في أدباء القرن التاسع عشر حتى يخيل للطالب ان العلم فيه انحصر في جبل لبنان وغير اللبناني لم يعمل شيئاً لخدمة الآداب العربية وهذا غمط لحق كثير من رجال الشام ومصر وتونس والعراق الذين خانوا فروع العلم والأدب وابرزوا مصنفات لا يسع عاقلاً تجاهل وجودها وتأثيرها في تكوين روح القومية والنهضة .

فقد ذكر المؤلف أناساً ماتوا اوائل الربع الثالث من القرن العشرين ليكثر بهم سواد المؤلفين في لبنان وهم ممن عملوا لخدمة الآداب ، فكان عليه ان لا يغفل ذكر غيرهم وهم لبنانيون ايضاً ، فقد ذكر الاب لويس شيخو وغفل عن ذكر الدكتور شبلي شميل والدكتور يعقوب صروف وهما ما هما في العلم والفلسفة وبث روح التجدد . ونظن انهما نفعا اللغة العربية اكثر مما نفعها حبيقة وفرحات والصائغ ممن ذكرهم ليكثر بهم سواد العاملين من غير المسلمين وأغفل ذكر عشرات من عظماء المؤلفين في الاقطار العربية ممن قامت على أيديهم نهضة الامة أمثال من ذكرهم الاستاذ الزيات كمحمد المهدي وحسن العطار وعلي الدرويش

وشهاب الدين ومحمود صفوت الساعاتي وعبد الهادي نجا الابياري وحسن المرصفي وعبدالله فكري وعلي مبارك وعبدالله نديم ومحمد عثمان جلال وعائشة التيمورية وملك ناصف وقاسم امين ، مصطفى كامل وفتحي زغلول ، مصطفى لطفي المنفلوطي وسعد زغلول وعبد الرحمن الكواكبي وطاهر الجزائري ومحمود شكري الألوسي وعبد الباقي العمري ومحمد بيرم وخير الدين التونسي وابراهيم المويلحي ، محمد المويلحي وعلي يوسف وحفني ناصف وحمزة فتح الله واسماعيل صبري . واذا جئت تعدد من هلكوا منذ ثلاثين سنة من رجال مصر فقط عددت منهم عشرات كان على المؤلف اذا لم يشأ ان يترجم لهم لضيق مجال كتابه ان يذكر جريدة باسمائهم واسماء كتبهم ليعرف الطالب ان اللغة العربية وخدامها اكثر مما تصورهم المؤلف ، وان في مصر وحدها من الرجال الذين يجيدون الكتابة والتأليف اكثر من جميع من أخرجهم لبنان من مدارسه . فعسى ان يتدبر المؤلف هذه الحقيقة ويبادر الى تلافي هذا النقص في الطبعة الثانية وان يعطف قليلاً على قوم هم الذين عملوا للغة وحفظوها هذه القرون الطويلة . والدعاية لا تثبت بمجرد الاعلان والدعوى .

م . ك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكوكب الدري المنير

— في احكام الذهب والفضة ولبس الحرير —

« تأليف الشيخ محمد سعيد الباني طبع في مطبعة المفيد بدمشق سنة ١٣٤٩ هـ »

« وسنة ١٩٣١ م ص ٢٧٨ »

هذا كتاب في موضوع لا يهم جمهور الناس اليوم لان من يلبسون الحرير ويتحلون بالذهب والفضة لا يتوقفون فيما يعملون على استصدار فتوى في الغالب . بيد ان المؤلف عالج هذا البحث كما قال نزولاً على ارادة من أراده على الافصاح عنه وبيان حكم الشرع فيه فكان جوابه مناقشة من قالوا بحرمة ذلك من الفقهاء ، والقول بحله مع بعض القيود . وبذلك خرج عن جمود الجامدين في الحكم في هذه المسائل ممن يضيقون على الناس ويحرمون الزينة والطيبات . ومع تقديرنا حرية المؤلف قدرها لا نرى مانعاً من ان نقول ان كتابه

كتب في اوقات مختلفة فلم يصبر عليه زمناً لينضج قبل دفعه الى الطبع ولو نظر فيه نظرة اخيرة لما اتى اشياء في باب المكررات الغير المستحبة والمكورة في صنعة التأليف اليوم · فقد كان الاولى مثلاً ان يبتعد عن ذكر حوادث لا يستفاد منها الا ان المؤلف كانت له صلة بها فأصبحت في حاشية الكتاب وربما في متنه من دون مناسبة · وأورد منامات لأناس ليسوا من العلم والدين في العير ولا في النفير كان الاولى ان تجل كتب العلم عن الاستشهاد بها ، وما كانت الأحلام يوماً من الأيام لتؤيد ديناً او تقوّم دنيا · وترجم بعض العلماء في أساليب ربما تعمده ليلبس كلامه حلة اهل القرون المتأخرة والمتفقهة والمتصوّفة ، ولو حذف من ترجمته لما ماجاء فيها من الغلو والمبالغة وأضاف اليها صورة أخلاقها لجاءت مقبولة في أذواق العالمين من اهل هذا العصر · فقد قال صمويل سميلز في كتابه الاخلاق : « والترجمة كالتصوير لابد فيه من الظل والنور فالمصور يختار لمن يصوره الوضع الذي يظهر عيوبه ، ولا المترجم يبالغ في بيان عيوب المترجم له ، وليس من الناس كثيرون لهم صراحة كرومول حين جلس الى كوبر ليصوره فقال له : صورني كما انا بكل ما فيَّ حق الثآليل اه ولا بد من تصوير الوجوه والأخلاق كما هي ان أريد ان تكون الصورة صحيحة اه » · م · ك

فتح العرب للشام

« تأليف السيد جورج مرعي حداد طبع في المطبعة الادبية في بيروت »
« سنة ١٩٣١ ص ١١٣ »

هي رسالة في فتوح دمشق على ايدي العرب المسلمين على الطريقة الجديدة في التحليل والانتقاد · رجع المؤلف في كتابتها الى مصادر الافرنجية وعربية واعتمد على آراء بعض علماء المشرقيات في الفتح الاسلامي وقد نقل رأي العلامة بكر في قوله ان كتابات العرب عن الفتوحات الاسلامية مفعمة بالاكاذيب والاغلاط خصوصاً في مسألة التواريخ وترتيب زمن الحوادث ورى ماقاله المؤرخ جبن من ان النبوغ في فن التاريخ مفقود عند الشعوب الآسيوية لانهم يجهلون قوانين النقد والفلسفة · اما المؤلف فأشفق على هذا التراث العظيم

الذي خلفه العرب في التاريخ لم يوافق المؤرخين المشار اليهما كل الموافقة وشعر انها لاتخلو من الصحة على رأي بكر وجبن في الحكم على تاريخنا يخالفه رأي سيديليو وبراون وغيرهما في قولها انه لم يكتب لغير العرب حتى اليوم ان اجادوا في وضع تاريخهم اجادتهم . وكيف كانت الحال فان هذا المختصر نافع على ما في بعض احكامه من الشطط وحبذا لو تمادر كتابنا مسائلنا التاريخية بمثل هذا النقد والتحليل . م . ك

تهذيب تاريخ ابن عساكر

« للشيخ عبدالقادر بدران الجزء السادس الطبعة الاولى بنفقة المكتبة العربية »

« بدمشق ص ٤٨٠ طبع مطبعة الترقي »

كان المرحوم الشيخ عبدالقادر بدران الدومي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ اختصر تاريخ ابن عساكر مؤرخ دمشق وحذف منه الاسانيد وغيرها مما رآه يورث الكتاب تطويلاً ونشر منه الاجزاء الخمسة الاولى في حياته وصدر مؤخراً عن عزيمة المكتبة العربية بادارة صاحبها الاستاذ السيد احمد عبيد على تكلة نشر هذا المهذب . ولا يخفى ان تاريخ ابن عساكر ضم كنزاً عظيماً من تاريخ الاسلام يتأتى لكل باحث ان يستقي من موارده العذبة . وفي هذا الجزء من المسائل التاريخية مالا يكاد القارئ يعثر عليه في المؤلفات الاخرى لان بعض من اخذ ابن عساكر من كتبهم ضاعت مصنفاتهم هذا الى ما جاء في تأليفه من ابحاثه الخاصة وتحقيقاته المدققة ومنها كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام الى أهل اليمن في الخراج والديات (ص ٢٧٣) وكلام هشام لمؤدب ولده ومنهاج تأديبه (٢٧٧) ووصية شريح لمؤدب ابنه (٣١٢) وقصيدة في قيس ومضر (٢٩٤) وسيرة ابن فاتك الذي شهد فتح دمشق وهو الذي تولى قسمة الأماكن بين اهلها بعد الفتح فكان يترك الرومي في العلو ويترك المسلم في أسفل لئلا يضر المسلم بالذمي . وهذا من أغرب ماسمع في العدل البشري . وفيه وصف عمر لشريح الذي كان يقول : اذا دخلت الهدية من الباب خرجت الحكومة من الكوة . وكان شريح اذا قيل له كيف أصبحت يقول : أصبحت وشطر الناس عليّ غضاب . وفيه سيرة ابي علي الأزدي البلخي الزاهد .

والشياء من الاسرائيليات وأحاديث صحيحة وضعيفة وترجمة صالح بن جنساح وصالح بن عبدالقدوس من الحكماء وترجمة ابي ريحانة الازدي من الصحابة وهو اول من طوى الطومار وكتب فيه مدرجاً مقلوباً وفيه وصية عمر لشريح (٣٠٥) الى غير ذلك من المسائل التي تبين عقل هذه الامة وفضل الاقدمين من رجالها عليها . وكلها تنادي بلسان الحال والمقال ان الناس كانت هممهم في طلب العلم لانفي وان هم أحفاد أحفادهم ضعفت وفترت .
م . ك

طبقات الحنابلة

« تأليف القاضي ابي الحسين محمد بن القاضي ابي يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ »
« واختصار شمس الدين ابي عبدالله محمد بن عبدالقادر بن عثمان النابلسي المتوفى »
« سنة ٧٩٧ وصححه وعلق عليه السيد احمد عبيد طبع بدمشق سنة ١٣٥٠ هـ »

أثبت ناشر هذا الكتاب الاستاذ احمد عبيد بما نشره من تركة السلف حتى الآن انه سائر على الطريقة العصرية في نشر كتب الأدب والتاريخ يخدمها بجلب النسخ المختلفة من الاقاصي ويعارضها على الاصول التي تصل الى محله ويعلق عليها و يشفعها بفهارس كثيرة تفتح مخابئها وتجلي مغالقها . وهذه الطبقات على ايجازها تحمل فوائد تاريخية واجتماعية كثيرة ولئن كان المؤلف الاصلي ترجم أناساً كانوا من عيار أحط من العيار العالي فان فيه تراجم علماء تحنى الرؤوس لذكراهم ويجب على كل باحث ان يتقيل خطاهم ، مثل ابي اسحق الحربي العالم المؤلف المشهور وابي عبيد القاسم بن سلام وأمثالها من أئمة الحديث والفقه، واصحاب التآليف الممتعة من اصحاب احمد بن حنبل رضي الله عنه . وقد ترجم المؤلف بعض النساء الفقيهات المحدثات ايام كان نساء المسلمين لايخرجن من الاجتماع الى الرجال يأخذن عنهم ويأخذون عنهن . وفي آخر هذا الجزء اللطيف ست فهارس : الاول في مسائل الامام احمد والثاني في الاسماء والثالث في الكنى والرابع في الابناء والخامس في الالقاب والسادس في الانساب . وهذه الطبقات مفيدة من عدة وجوه ولا تقتصر فائدتها على المشتغلين

بعلوم هـذا المذهب ومعرفة رجاله بل تفيد كل أديب و باحث ، وليس أجمل من كتب التراجم ولا أبعث على التسلية والاستفادة من تلاوة ماكتب الأسلاف وما عانوه من ضروب المعارف ·

م · ك

نيل الوطر

— من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر —

« جمعه محمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسني اليماني الصنعاني الجزء الاول ص ٤٢٥ »
« الجزء الثاني ٤٢٨ وكلاهما مطبوع في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ »
« وسنة ١٣٥٠ هـ »

مؤلف هذا الكتاب من فضلاء اليمن المعاصرين اخذ كتابه هذا من بضعة مصنفات في تراجم الرجال في القطر اليماني ومنها (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) للعلامة الشوكاني وقد طبع هذا ايضاً بمصر بفضل ارشاده وفي مجلدين بمطبعة دار السعادة · وقد حذا المؤلف في ترجمة الرجال حذو اهل القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة فجاءت تراجم من ترجم لهم متشابهة متشاكلة على ان المجلدين من حيث الجملة يحويان كثيراً من الفوائد الأدبية والاجتماعية والتاريخية · وبعض المترجمين ان انصفنا لا يستحقون ان تشغل الصحف بهم لضؤولة مقامهم في المجتمع · وكان الاولى ان يقتصر المؤلف على المبرزين من أصحاب السير والفضائل من اليمانيين ويتوسع في تراجمهم ويصورهم لقارئهم باعمالهم وعلومهم وآدابهم ومحيطهم وعصرهم · وحبذا لو تصدى لهذا الاسلوب الجديد بعد ان مارس الاسلوب القديم فان التطويل في التأليف بلا محصل كبير مضيعة للاوقات ولا يلتئم مع ذوق العصر الحاضر ·

م · ك

الرسالة العذراء

« لابراهيم بن المدبر »

ص ٥٣ الاصل العربي و٣٢ المقدمة الفرنسية طبعت في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م

عثرنا على هذه الرسالة لاول مرة في مخطوطات أستاذنا المرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري فنشرناها اولاً في الجزء التاسع من المجلد الرابع من مجلة المقتبس الصادر سنة ١٣٢٧ في ١٨ صفحة ثم جعلت مع ماياثلها من الرسائل النادرة التي نشرناها في تلك المجلة في مجموعة أسميناها « رسائل البلغاء » ونشرت في مصر سنة ١٣٣١ — ١٩١٣ وقد أعاد الآن طبعهـا على حدة الاستاذ الدكتور زكي مبارك من أدباء مصر وجعل لها مقدمة باللغة الفرنسية وقدمها الى مدرسة اللغات الشرقية بباريز وقال انه قرأها مع الاستاذ مارسيه من علماء المشرقيات في فرنسا وعلى كثرة بحثه لم يجد نسخة مخطوطة أخرى لهذه الرسالة يعارضها عليها غير نسختنا فأصلح بعض ما تولهمنا فيه ولم نرد ان نصححه من عندنا وعلق عليها حواشي لطيفة وعارضها على اصول كتبت في عصر المؤلف فنشكره الادب العربي على عنايته · م · ك

الاكليل

« تأليف ابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود المشهور »
« بالهمداني المتوفى في سجن صنعاء في سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) اخرجه الى الطبع »
« وصححه وعلق حواشيه وألحق به خمسة عشر فهرساً الاب انستاس ماري »
« الكرملي البغدادي طبع في بغداد بمطبعة السريان الكاثوليك في سنة ١٩٣١ »
« ص (١٤٨٨) الجزء الثامن »

اشتهر كتاب الاكليل عند الادباء وصحت هم بعضهم في مصر والشام والعراق على نقله ونشره وقد وفق الاستاذ الكرملي الى العثور على احد اجزائه فبادر حالاً الى نشره بما عهد فيه من التحقيق وسار على مثال علماء المشرقيات في معارضته والتعليق عليه

وإشباعه من الفهارس ما استغرق نحو ثلث المطبوع من المتن · وهذا الجزء في محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات وسميت محافد لحفود الناس حولها وقصدهم اياها · لاجرم ان في هذا الجزء مثالاً مصغراً من مدنية اليمن في عهد المؤلف وقبله فقد ذكر الناشر « ان هذا الاكليل يكشف لنا ان اليمانيين كانوا قد توصلوا الى ان ينحتوا تماثيل البشر والحيوانات والطيور والأبنية حتى توهم كثيرون ان تلك التصاوير كانت أحياء مسخها الله صخراً او جلوداً او حجراً · ويرى القارئ في بعض هذه المنحوتات من دقة الصنع وعجيب النقش ما يتحدى كل مصور غربي في مجاراته وقد تصرفوا في نحت الرخام تصرف العجان في عجينه · ان هذا الاكليل يبوح لنا بان السلف كانوا قد احكموا عمل الآلات المتحركة من نفسها وكذلك الساعات المائية العظيمة المعروفة «بالقطارات» فقد جاء عن قصر غمدان قوله :

يسمو الى كبد السماء مصعدا عشرين سقفاً سمكها لا يقصر ·
وبكل ركن رأس نسر طائر او رأس ليث من نحاس يزأر
متضمناً في صدره قطاره لحساب أجزاء النهار تقطر

قال العلامة الناشر : فهذا دليل واضح على ان ذلك القصر جاء على ابدع هيئة يحلم بها انسان هذا العهد · وحبذا اليوم الذي يتم نشر الاكليل برمته فتجلى به أجزاء مدنية اليمن المدهشة ·

م · ك

كتاب مالية مصر

« من عهد الفراعنة الى الآن لسمو الامير عمر طوسون »

طبع بمطبعة صلاح الدين الكبرى بالاسكندرية سنة ١٣٥٠ — ١٩٣١

ص ٣٤٠ عدا الفهارس

هذا كتاب كان وضعه مؤلفه النبيل العالم بالفرنسية وقدمه الى المجمع العلمي المصري · وقد عربه الآن ونشره وعسى ان يتم له أمنيته الشريفة فيعرب كل ماخطته يراعته في الموضوعات المفيدة لمصر ولغير مصر · وهذا السفر مجموعة فوائد يتعذر على الباحث الوصول

اليها الا بعد الدرس الطويل ٠ ولقد وفق الامير الى بلوغ غرضه من التحقيق وبلغ الذروة منه وصوّر لنا مصر في اكثر أدوارها في الغنى وهل أتمّ من الجباية على درجة الثروة في الامة ٠ فقــد نقل ان فرعون موسى استخرج مصر تسعين الف الف دينار (٥٤ مليون جنيه مصري) ونقل ان مال مصر ارتفع على يد تدراس بن صا مائة الف الف دينــار وخمسين الف الف دينار (٩٠ مليون جنيه) وذلك في ايام القبط وبلغت جبايتها مرة في عهدهم ١٦٢ مليوناً ٠ وجبيت مصر لعهد فرعون يوسف (١٤،٦٦٤،٠٠٠ ج م) وجبيت في بعض الأدوار مائة الف الف دينار ٠ ونزل خراج مصر على عهد البطالسة الى ٣،١٢٩،٥١٨٠٠ ج ومليون ونصف ارنب قمح في عهد بطليموس فيلادلف والى ٢،٧٠٠،٠٠٠ ج في عهد بطليموس اوليت ٠ وبلغت جبايتها في بعض عهد الرومان ٦،٧٤٥،٩٠٥ وجباها هرقل اليوناني ١٨ مليون جنيه والمقوقس ٢٠ مليوناً وعمرو بن العاص في الاسلام ٧،٢٠٠،٠٠٠ ج ؛ وجباها عشرة ملايين ونصف مليون وظلت على هذا النحو في خلافة الراشدين وانحط الخراج في عهد معاوية لاسلام رجال مصر فبلغ ثلاثة ملايين جنيه وبلغت جبايتها في عهد سليمان بن عبدالملك ٧،٢٠٠،٠٠٠ ج م ونزل في عهد الرشيد الى ٢،٥٤٠،٠٠٠ ج وارتفع في ايام احمد بن طولون الى ثلاثة ملايين وجباها خماروبه ٢،٥٤٠،٠٠٠ ج وفي ايام الاخشيدي ١،٢٠٠،٠٠٠ ج وفي زمن كافور ١،١٩٦،٢٠٠٠ ج وفي اوائل عهد الفاطميين ٢،٠٤٠،٠٠٠ ج وجبيت في آخر عهدهم ٧٢٠،٠٠٠ ج وجباها صلاح الدين ٣،١٢٨،٨٠٩٤ ج والظاهر بيبرس ٧،٢٠٠،٠٠٠ج وكانت جبايتها في عهد الترك العثمانيين ١،٠٨٠،٠٠٠ ج أوائل القرن السابع عشر و١،٢٠٣،٥٠٧ و١،٤٤٠،٠٠٠ في القرن الثامن عشر وجباها نابوليون ١،٣٦٩،٥١٩ ج وجباها محمد علي الكبير سنة ١٨٤٧ م ٣،١٩٥،٠٠٠ ج وبلغت في عهد الخديوي عباس الثاني ١٧،٥١٥،٧٤٣ ج م وفي عهد الملك فؤاد الاول سنة ١٩٣١ م ٤٦،٤٤٦،٩٢١ جنيه الخ ٠ وقد توسع المؤلف في ذكر الاتاوة على عهد الفاتحين والغالب ان عمارة مصر كانت تبعاً لانخفاض النيل وارتفاعه وعدل الولاة وظلمهم ٠ وذكر المساحات المزروعة من ارض النيل ونواحيها وبلادها وما طرأ عليها وما اصاب الفدان من الخراج في مختلف العصور وختم كلامه بان مساحة الارض القابلة للزراعة في مصر هي ٧،١٠٠،٩٠٠٠ فدان

منها ٢٠٠٠٠٠٠ تربى فيهـا الأسماك وقال ان ارض المنوفية أخصب ارض مصر وان السكان يزيدون فاذا لم تجفف مياه إقليم البحيرات بحيث تصلح للزراعة تضيق مصر باهلها. م · ك

ذكرى فوزي المعلوف

وان امرأً ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق له في الموت ·

أفنستطيع هذه الحكمة على بلاغة صدقها أن تهوّن من خطب هذا الموت وخاصة ان كان الميت في غضاضة من عوده ورطابة من غصنه قد اتسعت له افياء الامل ، فانبسطت بانبساطها جوانب الحياة فلما استعد للتمتع في هذه الجوانب جاء أجله فلم يستقدم ساعة ولم يستأخر ·—

لابدع اذا دمعت العين وحزن القلب على فوزي المعلوف ، ولقد ترقرق هذا الدمع وتجلى هذا الحزن في كتاب : ذكرى فوزي المعلوف ·—

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تضمنت هذه الذكرى ترجمة الفقيد وعدد آثار قريحته من منظوم القول ومنثوره ، وآراء الكتاب والشعراء في أدبه وذكر مرضه ووفاته ومآتمه وأقوال الصحف فيه والمراثي التي رُثي بها ·—

تبارت أندية الأدب ورجال الصحف في اميركة ولبنان في البكاء على الفقيد فكان في هذا التباري دليل قاطع على قدر الأدب حق قدره وعلى تضامن المتأدبين واذا أمضّنا مانشاهد في بعض الأحايين من تضافر بعض الطوائف على الاطفـاء من نور كل أديب يتلألأ نوره في سماء الأدب فقد أبهجنا تعاون طوائف أخرى على تنشيط كل أديب ينشأ ويترعرع فاذا استحكم الحسد في فريق استحكمت الغبطة في فريق آخر فكان لنا من هذه الغبطة عظة وعبرة ·—

لقد تجلى الأسى في قصائد الذين بكوا على فوزي المعلوف واذا كان في بعض هذه القصائد موطن مؤاخذة فهذا الموطن انما هو من ناحية الفن فان بعض الذين بكوا على الفقيد لم يستطيعوا الافصاح عن حقيقة شجوهم فلم يصوروا فوزي المعلوف تصويراً يناسبه

ولا يناسب غيره وهذا عيب مراثينا في القديم وبعض مراثينا في الحديث فلم تهتد بعدُ الى الاعراب عن صدق العواطف .—

اما شعر الفقيد فمن خصائصه امتداد الخيال فيه فصاحبه نزّاع الى ادخال صور شعرية حديثة عليه ولكن الله لم يمدّ له في الأجل حتى يتمكن من افراغ هذا الخيال في قالب خالد .—

رحم الله شبابه الناضر !

شفيق جبري

الحياة البسيطة

خير كتاب وصف مساوي الحياة النفسية الاجتماعية الحاضرة وطرق معالجتها « الحياة البسيطة » تأليف شارل واغنار في اللغة الفرنسية وتعريب الارشمندريت انطونيوس بشير الذي نشره الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر سنة ١٩٢٨ . فقد استقرأ فيه المؤلف اسباب الاضطراب والقلق النفساني السائد في الحياة الاجتماعية الحاضرة وقد وجد ان هذه الاسباب تمتّ من حيث المنشأ الى اصل عام واحد هو الخلط بين الضروري وغير الضروري من الحاجات وإهمال الاول والتمسك بالثاني إرضاء للشهوات والتقاليد والعنعنات المقيدة لحرية الانسان الحقيقية التي تتطلب السعادة في ظل الهدوء والطمأنينة . ثم بحث عن هذه السعادة المنشودة فلقيها في بساطة الحياة البعيدة عن الكلفة والتصنع . وبعد ان عرف هذه البساطة تكلم عن بساطة الفكر والكلام والواجب البسيط والحاجات والملذات البسيطة والروح النفعية والبساطة والشهرة الكاذبة والخير المجرد من المجد والعالم والبيت . والجمال البسيط والكبرياء والبساطة في معاملة الناس . والتهذيب على البساطة . وقد أجاد المعرب في نقل هذا الكتاب الى العربية بعبارة سهلة فصيحة . فهو لعمري كتاب الشاب والفتاة والزوج والمرأة يجدون فيه صورة الحياة الحاضرة بما فيها من سعادة وتعاسة واسباب الاولى وعلل الأخرى فيستنيرون بضوئه ويهتدون بنصائحه .

اسعد الحكيم

تقويم مصر

« لسنة ١٩٣١ ميلادية »

للدعاية في هذا العصر مكانة كبرى في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية وذلك بالنظر لما أوجدته وسائط النقل الحديثة من السرعة الهائلة في المواصلات بين جميع أقطار العالم الذي أصبح يؤلف باجمعه قطراً واحداً لاتختلف المسافة الزمنية ما بين أجزائه عن المسافة الزمنية التي كانت تفصل بين مدن المملكة الواحدة في العصور المتقدمة ·

فمن الضروري والحالة هذه ان تعم معرفة القوانين والأوضاع الادارية والاجتماعية والاقتصادية المتبعة في كل مملكة تسهيلاً لسير الأعمال المشتركة وتوسيعاً للصلات التجارية التي لايمكنها ان تشيع بغير العرض والدعاية ·

وقد كانت الممالك الشرقية في معزل عن هذا الامر الحيوي حتى العصر الحالي · فكان نصيبها من هذا الاهمال بقاءها مجهولة مما أضرّ بها ضرراً لم نقدره قدره الا في هذا اليوم الأخير · وقد كانت مصر سباقة الى تلافي هذا النقص فقد اطلعنا اخيراً على تقويمها الذي أصدره قلم نشر مطبوعات الحكومة لسنة ١٩٣١ باللغة العربية فاذا به صورة مصغرة لأوضاعها ومصالحها واحصاآتها السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية · « جغرافية مصر · الزراعة والتجارة والصناعة والري والحقانية · المالية · الجندية · الاشغال العامة · المواصلات · المعارف · الصحة الخ » مما يفتقر الى مطالعته كل من له صلة بالقطر المصري · وذلك بالحرف الصغير وفي زهاء ٦٦٥ صفحة يتخللها عدد من الرسوم والصور تفيد الموضوع ·

اسعد الحكيم

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

جاء في ص ٤٠ س ١١ اللفة صوابها اللغة • وص ٤٢ س ١٤ فاللفط صوابها فاللفظ • وص ٥٣ س ٦ حسن البزار صوابها حسن البزاز • وص ٧٠ س ١٦ فيل صوابها قيل • وص ٧٩ س ١٦ كا صوابها كان • وص ٩٨ س ٧ اصلح للملك ولا يصلح لي الصواب اصلح للملك ويصلح لي • وص ١١٤ س ١٣ مرتصى صوابها مرتضى • وص ١٣٠ س ٣ الشيخ محمد محمود الذكري صوابها الشيخ محمد محمود الشركري • وص ١٣٣ س ١١ وصديقه صوابها وصديقه • وص ١٣٦ س ٩ وفد صوابها وقد • وفيها س ١٧ ينم صوابها يمنم • وص ١٤٦ س ٥ احمد رسيد صوابها احمد رشيد • وص ١٥١ س ٢ اشتاشتوا صوابها اشتوا • وص ١٦٣ س ١١ بتوحتد صوابها بتوحيد • وص ١٦٧ س ١ ولقد ترجم العرب عن احساسم الصواب ولقد ترجم العرب عن احساسهم • وص ٢٠٤ س ٧ الحلقي صوابها الحدقي • وص ٢٠٧ س ٣ لم يحلق صوابها لم يخلق • وفي ص ٢٠٨ س ٢٤ ابي داود صوابها ابي دواد • وص ٢١٠ س ١ و٢ لئن صوابها لأن • وفيها س ٤ أما صوابها أمام • وص ٢١٤ سطر ١٠ والقتل صوابها والفتل • وص ٢٣٧ س ١٢ ارى الارض تطوي الي الصواب ارى الارض تطوي لي • وص ٢٤٧ س ٩ يؤند صوابها يؤندم • وص ٢٥٠ س ١٤ وانما هوموسى الصواب وانه هوموسى • وفيها س ١٦ موسى بن حمو الصواب موسى ابو حمو • وص ٢٥٨ س ١٤ إمكا صوابها إمكان • وص ٢٦٤ س ١٧ ام ان اللغة صوابه ان أم اللغة • وص ٢٧٠ س ١٠ يطر بم صوابها يطربهم • وص ٢٧٤ س ٤ بهرة صوابها بهرته • وص ٣٠٥ س ٢ رة صوابها مستورة • وفيها س ١٧ العاة صوابها العامة • وص ٣٠٦ س ٢٥ و بلغ صوابها ومبلغ • وص ٣٣٨ س ٢١ ناظره صوابها لمناظره • وص ٣٥٩ س ٨ لا بازالة العامة صوابها الا بازالة العامة • وفي ص ٣٧٥ س ١١ جتمت صوابها اجتمعت • وفي ص ٣٩١ س ٢٠ أتز صوابها اهتز • وفيها

س ٢٢ وكا صوابها وكان • وص ٣٩٦ س ١٦ والحرمة صوابهـا والحرمة • وص ٣٩٩ س ١١ تباغث الصواب تباغث • وص ٤٠٢ س٨ منهِ الصواب منهم • وص ٤٠٩ س ١ كا الصواب كان • وص٤٢٤ س٣ نع الصواب منع • وص ٤٢٨ س٢٤ راك الصواب فراك • وص٤٣٠ س٥ وإ لا الصواب وايلا • وص٤٣١ س٦ فراش الصواب فراشه • و٤٤٢ س١٥ فتبسوها الصواب اقتبسوها • و٤٤٣ س١ او من الفئة الصواب او من الفيئة و٤٤٦ س١ الرفص الصواب الرقص • و٤٥٨ س٣ نهر ا الصواب نهرنا • و٤٧٠ س١٢ فعزم الصواب لعزم • و٤٧١ س١٠ يذ ق الصواب يذوق • و٤٧٨ س ٩ ثمن الصواب ثمن • و٤٨٠ س١٨ لاحي الصواب فلاحي • و٤٨٢ س١٥ بقل الصواب ينقل • و٤٨٩ س ٤ تنج الصواب تنسج • و٤٩٠ س٢ وا اء الصواب والماء • و٤٩٢ س ٢٠ المكا الصواب المكان • و٤٩٧ س ١٦ مبشك الصواب يمبشك • و٥٠٠ س ٢١ مطاي الصواب مطادي • و٥٠٢ س١٨ ايرحنا الصواب مايرحنا • وفيها س٢٤ اقتبس في مجمعه الصواب اقتبس في مجمعه • و٥٠٥ س ١ ينبت من الا راك الصواب ينبت من حب الاراك • وفيها س٣ ave الصواب Cave • وفيها س٩ ورحله الصواب ورجله • و٥١٤ س٩ فا ه الصواب فاره • و٥٢٩ س١ السآ ة الصواب السآمة • وفيها س١١ فالادلة الصواب والادلة • و٥٣١ س١٧ فانظر ماتضير الصواب فانظر من تضير • وفيها س٢٥ الفينساء الصواب الغيناء • و٥٣٢ س١٣ ات الصواب مات • وفيها ١٤ فكاً في الصواب فكأنني • و٥٣٤ س٣ ساهياً الصواب ساهيا • و٥٤٨ س٥ وعيا ـ الصواب وعيان • و٥٥٠ سطر٩ لرد ا الصواب لردها • و٥٧٦ سطر١٤ الشنفرى الصواب الشنفرى • و٥٨٨ سطر ٢٤ بنه ذيك الصواب بتحذيك • و٦٣٤ سطر٢٠ علاة الصواب علاتها • و٦٣٩ سطر٦ سـ ة الصواب سنة • و٦٤٤ سطر١١ تحه الصواب تحته • و٦٦٢ سطر٢٢ والوند الصواب والوتد • و٦٩٣ سطر ١ واصة الصواب واصفها • و٧٢٢ سطر ٢٤ مذ الصواب منذ • و٧٢٦ سطر١٣ بما ه الصواب بمائه • و٧٥٢ سطر٤ ومع ن الصواب ومع ان

—○—

(تنبيه) نقول هنا ماقلناه في آخر المجلد العاشر من ان معظم الاغلاط ناتج عن تساقط الحروف وتكسرها مما لا يغيب عن فطنة القاري • كما يرى في هذا الجدول •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com